



الحياة في لارش بصوت المسلمين



تحرير نائلة طيارة

2017

1	08/17	DI-206-04-Life at L'Arche through muslim voices-AR		EN
Version	Date	Guidelines – 200	Place and date of approval	O.V.

هذا الكتيب ثمره اجتماعات شرعت مجموعة عمل "لارش والإسلام" تعقدتها منذ عام 2008 وحتى عام 2015 في مصر والهند وبنغلادش والكويت ولبنان وفرنسا بقيادة لارش إنترناشيونال.
وتم إطلاق الأبحاث المواضيعية بالشراكة مع مؤسسة أديان.



adyan

© 2017 لارش إنترناشيونال. جميع الحقوق محفوظة

لارش إنترناشيونال

25، شارع روز نوالد

باريس 75015، فرنسا

هاتف: 33 (0) 1 68 53 00 08

البريد الإلكتروني: international@larche.org

الموقع الإلكتروني: www.larche.org

مؤسسة أديان

شارع العلم، بدارو، بيروت، لبنان

ص.ب. 5303-116

هاتف/فاكس: 009611393211

البريد الإلكتروني: contact@adyanfoundation.org

الموقع الإلكتروني: www.adyanfoundation.org

فهرس

باتريك فونتان	تمهيد
عمرو عبد العاطي	شهادة الايمان: تقديم المساعدة والحماية لكل من هو بحاجة إليها
	صالح
نايلة طّبارة	الانسان والإعاقة من منظور الاسلام
نايلة طّبارة	في الإخاء والحاجة إلى الآخر
عامر الحافي	في معنى الرحمة الالهية في الاسلام
نايلة طّبارة	التنوع الديني من منظور الاسلام
عمرو عبد العاطي	الاسلام والمسؤولية الاجتماعية
	صالح
عمرو عبد العاطي	القيادة في الاسلام: التزام بتعليم الآخر وخدمته
	صالح
جان فانييه	الخاتمة

تمهيد

صادف لارش الاسلام للمرة الأولى في الهند عام 1971، أي سبعة اعوام قبل تأسيسه.

ولقد كرسّت المنظمة الإسلام والهندوس في جوهر هويتها، هي الأولى في مدينة بنغلور الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة.

اعترف جان فانييه بأنه لم يكن ليتوقع أو يقرّر ذلك قط. فقد أتى ذلك كنتيجة طبيعية للخيار الذي اتخذته لارش لدى تأسيسها، وهو ألا تكون منظمة تعمل "من أجل" ذوي الاحتياجات الخاصة ولكن "من خلال" ذوي الاحتياجات الخاصة.

لكانت لارش التي تعمل من أجل الهندوس أو المسلمين ذوي الاحتياجات الخاصة بقيت منظمة مسيحية على غرار الكثير من الجمعيات الخيرية المسيحية الأخرى، بيد أنّ لارش التي تعمل من خلال الهندوس أو المسلمين ذوي الاحتياجات الخاصة أثبتت أنّها جامعة للأديان.

عندما تمّ تأسيس لارش في بنغلور، عملت غابريال أنسل، وهي المؤسّسة، على إنشاء غرفة للصلاة في أول بيت للارش. كانت ترتادها صباح ومساء كل يوم، وتجثو أمام صليب صغير وأيقونة لمريم العذراء. وكان غورانتان، وهو أول ذوي الاحتياجات الخاصة في المنظمة، يأتي من عائلة هندوسية تقليدية. عندما عاد إلى المنظمة بعد تمضية أول نهاية أسبوع برفقة عائلته، أعطى صورة الإله المفضل لديه، موروغا، أحد أبناء شيفا، الذي كان يحملها لغابريال بكلّ فخر. وسرعان ما وضعتها في غرفة الصلاة، التي باتت تضم الآن رموز دينية للعديد من الأديان.

فمن خلال هذه اللفتة البسيطة، ومن خلال هذه اللحظة العفوية التي عكست الصلاة المشتركة، كان كلّ من غورانتان وغابريال قد ساهم في خلق هذا البعد الجامع للأديان الذي تتسم به لارش.

ومنذ ذلك الحين، كرس ميثاق لارش الدولي الهوية الجامعة للأديان التي تطبع وجه اتحاد مجتمعات لارش.

فلا شك أنّ تعايش الأديان ضمن مجموعة واحدة لأمر صعب للغاية، ولكنّه معقول، سيّما في الهند وبنغلادش وفلسطين.

بيد أنّ جوهر لارش، وإن كان يفتخر باكتسائه بعداً جامعاً للأديان وهو بعد يثير العديد من التساؤلات، مازال يرتكز إلى التقاليد المسيحية. حاولت العديد من الكتابات أن تغوص في عمق لارش، على الصعيد الأنثروبولوجي والتعليمي والفلسفي والروحاني ولكن غالباً ما استندت إلى مصادر مرتبطة بالمسيحية، ولم ترتكز ولو مرة إلى مصادر ذات الصلة بالإسلام.

لذلك، تنقسم التوقعات إلى قسمين من حيث علاقة لارش بالإسلام:

- أن نسمح للمعاونين المسلمين في لارش أن يكتسبوا المزيد من الخبرات من خلال العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة بناءً على تقاليد الإسلام، أن يسلطوا الضوء على اتساق هذه التجربة وإيمانهم، أن نعطي لهم الفرصة أن يثبتوا في الإيمان، أن يدركوا أنّ توطيد علاقتهم والضعفاء سيدفعهم إلى الارتقاء بأنفسهم كمسلمين وإلى بناء مجتمع من المؤمنين، أو بمعنى أوسع، المجتمع الإنساني.

- أن تساعد مجتمعات لارش على تطوير كافة الأدوات الضرورية لتأمين الغذاء الروحي للأعضاء المسلمين.

منذ عام 2004 ومجموعة عمل "لارش والإسلام" التي تضمّ معاونين مسلمين ذوي خبرة واسعة وعلماء دين، تنظر في علاقة الإسلام بلارش.

ولقد وافق ثلاثة علماء دين وأصدقاء للارش على الالتزام أبداً في تسخير مهاراتهم في سبيل إنجاح هذا المشروع، سيّما نائلة طبّارة، وهي أستاذة في العلوم الدينية والدراسات الإسلامية ومديرة مركز المواطنة وإدارة التنوع في مؤسسة أديان في بيروت وعمرو عبد العاطي صالح، وهو أستاذ في جامعة الأزهر في القاهرة وعامر الحافي، أستاذ في جامعة البيت ومستشار أكاديمي في المركز الملكي للدراسات الدينية في عمان.

لقد ارتكزت مجموعة العمل أيضاً إلى خبرة الأخ جان جاك بيرينيس المؤمن ذي الكفاءة العالية، الذي يشغل منصب مدير معهد الدراسات الشرقية في القدس.

لقد اجتمعت المجموعة بأعضاء من منظمة لارش في الهند وبنغلادش وفلسطين ومصر وفرنسا وشرعت تصغي إلى خبرات ذوي الاحتياجات الخاصة والمعاونين في المجتمعات المذكورة.

في ما يتعلّق بعلماء الدين، لقد أتوا بالنصوص والقصص والأفكار والشهادات العائدة إلى التقاليد في الإسلام، ما أعطى معنى جديد لهذه اللقاءات وللشاشة على حدّ سواء.

ليس هذا الكتاب إلّا لمحة عامّة عن العمل الدؤوب الذي تمّ القيام به وعن عمليّة تبادل الآراء والأفكار، وهو يسلّط الضوء على الخطوط العريضة التي تصف الحياة الجماعيّة في لارش، مستنداً إلى مصادر ومعلومات دينيّة صحيحة.

واستجابةً إلى الحاجة إلى صياغة وثيقة مكتوبة ستستند إليها مجتمعات لارش في أقطار الأرض كافة وتعمل على توزيعها، تمّ تخليد هذه اللقاءات التي ظلّت تعقد على مدى عشر سنوات بمقالات مواضيعيّة.

نودّ أن نخصّ بالشكر مركز المواطنة وإدارة التنوع في مؤسسة أديان وهي مؤسسة لبنانيّة تعنى بالدراسات الدينية والتضامن الروحي، فهي التي سهرت على إنجاز البحث المواضيعي خلال السنوات الأربع المنصرمة بالشراكة ولارش، وعلى تنسيق الجهود للخروج بهذا العمل.

باتريك فونتان

مدير لارش إنترناشيونال

شهادة الإيمان: تقديم المساعدة والحماية لكل من هو بحاجة إليها.

عمرو عبد العاطي صالح

يمكن الوقوف على أسس الإيمان في الإسلام بالطريقة التالية: إنّ الإسلام بناء إيماني مؤلف من ستة طوابق، ترتكز بدورها إلى خمسة أركان، ليست إلا شهادة لا إله إلا الله والصلاة وتطهير للمال من خلال الصدقة (الزكاة) وصوم رمضان وحج البيت. أما ركائز الإيمان، فهي الإيمان بالله والإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.¹ وتتألف هذه الطوابق من سبعين غرفة. قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضغّ وسبعون أو بضغّ وستون شُعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان.² تكتسي شهادة الإيمان إذا أهميّة بالغة في الإسلام: فهي الركن الأول من أركان الإسلام، الركيزة الأولى والقيمة الأكثر سموّاً.

تكتسي الشهادة لا إله إلا الله أهميّة بالغة في إيمان الإسلام، إذ إنّها أولى أركان الإسلام، أولى طوابق الإسلام وأرقى قيمه.

فما هي الشهادة ولم تعتبر الأساس الذي ترتكز إليه قيم الإسلام جمعاء؟ إنّ الشهادة مصطلح عربي يأتي من جذر "شهد" الذي يكتسي معنيين "أخبر" و "حضر". تتحدّر العديد من المصطلحات العربيّة من هذا الجذر، "كشاهد" و "شاهد" و "شهادة" التي تعني إقرار رسمي بحقيقة ما، أو معاينة حادثة. في الإطار الديني، لا تعني كلمة الشهادة لا إله إلا الله، محمد رسول الله وحسب، بل أيضاً الشهادة على الإيمان مدى الحياة. فكّما نطق شخص بالشهادة بصدق وصراحة، سار على الدرب المؤدّية للإسلام، لكنّه لن يصبح مسلماً ما لم تعكس أفعاله معاني هذه الجملة وما ينتج عنها.

قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم.³

لذلك، تبدأ حياة المسلم بالشهادة أمام جماعة المسلمين، التي سينتمي إليها ما حيا، فيعيش في جوّ تسوده الشراكة في تحمّل المسؤوليات والحقوق والواجبات. فمن فكّر ولو للحظة أنّ الشهادة تنتهي لحظة إعلان الإيمان هو على خطأ، ذلك أنّ يترتّب على المؤمنين عيش الشهادة بكلّ ما في الكلمة من معنى، أي لإخبار والحضور. "ولذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً".⁴

¹ أركان الإيمان الستة المذكورة أعلاه تنسب إلى العقيدة السنّية أمّا العقيدة الشيعية فهي ترتكز إلى الأركان عيناها (الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر) ولكنها تؤمّن أيضاً بمذهب الإماميّة من دون احتساب الإيمان بالقدر خيرة وشرّه ضمن تلك الأركان.

² البخاري وإسلام

³ القرآن الكريم، سورة الحجرات 49:14.

⁴ القرآن الكريم، سورة البقرة 2:143

فعلى المسلمين أن يعملوا أبداً على إعلان إيمانهم وممارسته، لأنّ ليس هذا إلا هدف الخليفة برمتها: وإذ قال ربك للملائكة
إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا
تعلمون.⁵

كما قرأنا في القرآن الكريم: "وما خلقت الإنس والجنّ إلا ليعبدون"⁶.

فرسالة المسلمين هي أنهم حاملو الشهادة للإنسانية. بالتالي على كلّ مسلم أن يقوم بالمهمة التي تقع على عاتقه، أي أن
يشهد أنّ لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله. فقد قالت أسماء بن يزيد أنّها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "خِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُعُوا، ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".⁷

فكيف يمكن للمرء أن يفكر بالله عندما ينظر إلى الإنسان؟

بغية الإجابة عن هذا السؤال، علينا أولاً أن نقرأ قصة النبي يوسف الذي كان رئيس وزراء مصر القديمة. الجميع كان يعرفه
على أنه أجمل رجل على الأرض. أراد صديقه أن يقدم له هدية، وكان يفكر ملياً في الهدية المثالية التي تليق برجل كيويسف، رئيس
وزراء مصر - عاصمة العالم في ذلك الحين. وبعد التفكير ملياً، وجد الهدية المناسبة وهرع إلى يوسف يقدمها إليه. فكانت الهدية
مرأة! وفكر يوسف في قرارة نفسه: "لم يقدم لي هذا الرجل مرأة؟" أجاب الرجل قائلاً إنّ بما أنّ يوسف رئيس وزراء مصر، ولا يحتاج
إلى شيء، تبقى المرأة الهدية الفضلى، ليتسنى ليوسف تأمل جماله!

بناءً على هذه القصة، ما الذي يمكننا أن نقدّمه لله؟ ما الذي يمكن للإنسان أن يقدمه لله، الخالق والقيوم؟ لا يمكننا سوى أن
نجعل من أنفسنا ومن قلوبنا مرآة لنعكس جمال الله الذي يتجلّى في أسماء التسعة والتسعين: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا
وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"⁸

عندما كنّا أطفال، كنّا نفهم معنى الفعل "أحصى" بحرفتيه: أن ندرك/ نحفظ. وكنّا نكرّر هذه الأسماء كلّ صباح في
المدرسة أملين دخول الجنة! ولكن مع مرور الوقت، وعندما تفقنا نتعلّم الحديث في الأزهر، أدركنا أنّ هذا الأمر ليس بهذه البساطة،
وأنّ علينا أن نجعل من أنفسنا مرآة تعكس أسماء الله، تجلّ للأخلاقيات والقيم التي تحملها، اقتضاءً بمثل النبي محمد صلى الله عليه
وسلم، المثال والتجلي الحي للقرآن الكريم. وقال يزيد بن أبانوس: "دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ ، فَقُلْنَا: " يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، تَقْرُؤُونَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَتْ: أَقْرَأُ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ سورة المؤمنون آية 1، قَالَ يَزِيدُ:
فَقَرَأْتُ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى لَفُورِهِمْ حَافِظُونَ سورة المؤمنون آية 1 - 5، قَالَتْ: هَكَذَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

» 9 «

⁵القرآن الكريم، سورة البقرة 2:30

⁶القرآن الكريم سورة الذاريات 51:56

⁷سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، كتاب 37، حديث 4258

⁸سنن الترمذي 3429

⁹الأدب المفرد، الإمام البخاري، باب من دعا الله أن يحسن خلقه.

فإنه لمن واجب كل مسلم أن يصبح المثل الحي في الشهادة لله الواحد القدير، أن يكون خليفته على الأرض. وكما اقتبسنا من الآية 2:30 أعلاه، حتى ولو كانت الملائكة لأي سبب تتوقع أمور من آدم وخليفته، يعلم الله الخالق أن الملكات التي وهبنا إيها إنما هي ما سيمكّننا من تحقيق المهمة التي خلقنا من أجلها.

الشهادة على وجوده، على رحمته، على عدله وعلى صفاته الحميدة تعالى، مهمة تستمر مدى الحياة، مهمة الشهادة على مفهوم العبادة بمعناه الواسع.

ثمّة أشخاص لا يفهمون معنى كلمة عبادة، ظناً منهم بأنه ينحصر بالأفعال فقط: الصلاة والصوم والحجّ والزكاة. ولكن في الإسلام، لا تقف عبادة الله عند الصلاة والصوم والحجّ أو التبرّع بالمال للجمعيات الخيرية وحسب، بل تعني القيام بما هو صائب، القيام بما يودنا الله تعالى أن نقوم به. وكما سبق وذكرنا، أن نعبد الله يعني أن نعكس صفاته الحميدة تعالى، في كل مرحلة من مراحل حياتنا.

"لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه"¹⁰.

فيوم الحساب، السؤال الذي سي طرح على كل منا هو التالي: "هل كنت شاهداً حقاً لي، أنا من خلقك؟" بالفعل يمكننا القيام بالكثير لنكون شهود على إيماننا أمام العالم بأسره، لنكون تجلّ لأسماء الله وصفاته الحميدة. ولكن ما أريد أن أشدد عليه في المقاطع الآتية هي أنماط الحياة التي تمكّننا من تجسيد اسم الله "النصير": المساعد والمعيّل.

عندما تطبّق تعاليم ديننا التوحّدي في حياتنا اليومية نحن المسلمون نؤمن أنّ الله وحده المساعد والمعيّل، كما ورد في القرآن الكريم: "ألا تعلم أنّ الله له وملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله لا وليّ ولا نصير".¹¹ إضافةً إلى ذلك، "إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد."¹²

بصفتي مسلم، عليّ أن أشهد على اسم الله "النصير" بطريقتين مختلفتين في حياتي اليومية. على صعيد شخصي، أولاً، عليّ أن أعلم من هو واليّ، من الذي ألجأ إليه كلما شعرت أنّي بحاجة إلى المساعدة والإرشاد، أنّ الحياة تقسو عليّ. أفضل مثال على ذلك هو النبي محمّد (صلى الله عليه وسلّم) عندما توجّه إلى طائف حاملاً الدعوة إلى دين الله الحقّ لشعب المدينة. ولكنهم ما كانوا ليدعوه يغادر بسلام، فأغروا به السفهاء والعييد فسحروا منه وسبوه ورموه بالحجارة وضربوه حتى سالت الدماء من جسده ومن قدميه الشريفتين. وغادر المدينة وفي قلبه حزن وألم شديدين. وجلس خارج المدينة، خائر القوى ودعا لله: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتني، وقلّة حيلتي وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحلّ على غضبك أو أن ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك."¹³

هذا أفضل مثال على أولى درجات الشهادة لاسم الله "النصير". أما الدرجة الثانية، فهي أن نجعل من نفسنا مرآة نعكس هذه الاسم الحميد: أن نساعد من هو بحاجة إلى المساعدة وأن ندعم من هو بحاجة إلى دعم. وعلينا في هذا الصدد أن نفكر في

¹⁰ رياض الصالحين، كتاب المقدمات، صحيح الترمذي

¹¹ سورة البقرة 2:107

¹² القرآن الكريم سورة الغافر 40:51

¹³ سيرة النبي ابن هشام مؤسسة علوم القرآن، المجلد الأوّل، ص. 421

المكافئة، أو في ردّ الجميل، ذلك أنّ هذا الفعل هو فعل امتنان لله، الذي هو معنا أينما نكون "وهو معكم أين ما كنتم واله بما تعملون بصير"¹⁴

بهذا نحاول أن نذكّر الناس، من خلال أفعالنا، بالله تعالى. إضافةً إلى ذلك، هذه المساعدة لا تعكس لطفنا وحسب، بل إنّها إحدى تجليات العبادة، توازي بأهميتها الصلاة والصوم والحجّ. قال أبو موسى الأشعري عن النبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم: "على كلّ مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعتل بيديه فينفع نفسه، ويتصدق. قالوا: فإن لم يستطع؟ أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: إن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير - أو قال: بالمعروف - قالوا: وإن لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشرّ، فإنّه له صدقة." ¹⁵

كما قال النبي بكلّ وضوح أن الله، عندما نسأله المساعدة، يعاملنا كما يعامل هؤلاء الذين طلبوا إلينا المساعدة يوماً.
"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً، فرّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة"¹⁶
يساعدنا الحديث المذكور سابقاً على فهم الأهمية التي نكتسيها في نظر الله، وكيف يمكننا أن نرضيه عبر مساعدة من هم في الحاجة.

إضافةً إلى ذلك، يمكننا أن نعي كيف يمكننا تحقيق مهمّة الشهادة على الإيمان من خلال مساعدة من في الحاجة. ويمكننا أيضاً إدراك كيف أننا عندما نمنع أيّ شخص من احتقار أو الازدراء بذوي الاحتياجات الخاصّة نكون قد عاملنا الآخرين كما يعاملنا تعالى. وفي النهاية، لا فرق في أن يذكروا الله عند مرآنا، أو أن نذكر نحن الله عند مرآهم، كمثال حيّ لسلطانه ورحمته وحكمته التي نكرس حياتنا بأسرها في سبيل اكتشافها وفهماها.

اعتقد أنّ الله اختارني لأنضمّ إلى لارش. وأنا مقتنعة بذلك. علينا أن ندعم هؤلاء الذين يعيشون في لارش، والله يعلم أنّ هذا ما سأقوم به.
اسرافيل، معاونة في لارش ميمسنغ، بنغلادش، في لقاء في تروسلو عام 2012.

كان جدّي إماماً. فترعرعت في جوّ من الخشوع والروحانيّة. والمواضيع الروحيّة ليست بغريبة عني. أنا أعلم أنّي إن تخلّيت عن هؤلاء الأشخاص، نكون أفعالي قد تناقت وإرادته تعالى. ولا أعتقد أنّه سوف يسامحني إذا فعلت.
ودود، معاون في لارش ميمسنغ، بنغلادش، في لقاء في بنغلادش عام 2011..

الآن أدركت ما يعني أن يكون الإنسان مصاب بإعاقة جسديّة أو عقليّة. لاحظت أنّ الإقصاء يسود في ظلّ غياب سبل التواصل ووجود الإعاقة الاجتماعية المتمثلة بالفقر الثقافي والمادي. كما لاحظت أنّ في ذلك غياب أي معنى للحياة، أي جدوى. وفكرت ملياً

¹⁴ سورة الحديد 4:57

¹⁵ صحيح البخاري: كتاب الأدب

¹⁶ سنن أبي داود، كتاب الأدب.

بالآيات التي تدعونا إلى الاهتمام بالضعيف واليتيم والعجوز والمريض والقريب. حتّى ولو كان بعض الأشخاص يفهم هذه الآيات بحرفيّتها، أي تقديم المأكّل والمشرب للآخر، إلّا أنّها تحمل معنى أوسع من ذلك بكثير.

ناديا، معاونة في لارش فرنسا، في لقاء في الكويت عام 2009.

" عندما كنت أعتني بابني، شعرت أنّني بدأت أثبت بالإيمان أكثر فأكثر. واكتشفت أنّني كلّما اعتنيت به بصورة خاصّة أو بالفقير بصورة عامّة، أنجزت مهمّتي، أنا المؤمنة، وحقّقت شيئاً ما حقّقته قطّ. نظرتي للإيمان لم تكن تتضمّن فكرة محبّة القريب والاهتمام به. فالمؤمن لا يسعى إلى تلبية حاجاته وحسب، بل إلى مساعدة الآخرين، بغضّ الطرف عن الاختلاف سواء كان جسدي أو اجتماعي."

بدأ مصطفى يزور العائلات التي تضمّ طفلاً ذا احتياجات خاصّة، مقدّماً لهم الدعم المناسب. وبناءً على طلب لارش، شرع يدرّس الدين للأطفال بفرحٍ شديد. " أحبّ روحان من كلّ قلبي. لم أكن أعره أي أهميّة من قبل، ولكن بفضل لارش، انقلبت حياتي رأساً على عقب." فهو يعيد قراءة الحديث والقرآن، بحثاً عن أي معلومة تتعلّق بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصّة. في مقطع من الحديث، قرأ أنّ طفل لا يسعه التمييز بين الصّحّ والخطأ هو طفل بلا خطيئة. ولقد اكتشف مصطفى عبر قراءته أنّ مساعدته لهذا الطفل وسائره يوازي بأهميته، إن لم يكن يفوق الصلاة أهميّة. "إذا ذهبت إلى الجنّة، فهذا بفضل ابني. انني ممّنّ للارش شدّ الامتنان."

مصطفى، والد روهان، عضو أساسي في لارش ميمسنغ في لقاء في بنغلادش عام 2011.

في لارش، اكتشفت أنّ ذوي الاحتياجات الخاصّة قريبون من الله. واكتشفت أيضاً المعنى الحقيقي للحديث: " لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه." حاولت أن أنظر إلى الحياة عبر عيني ذوي الاحتياجات الخاصّة. وبما أنّني أمتعض كلّما قلّل أحدهم من احترامي، أحترم الآخرين. أشعر بالامتنان كلّما شكرني أحدٌ على لفظة بسيطة. ولذلك أقوم بالمثل. تعلّمت أيضاً الصمت والتأمّل. الصمت هو إدراك أنّ كلّ شيء من صنع الخالق، والشعور بالامتنان لذلك.

أميرة، معاونة في لارش بيت لحم، فلسطين، في لقاء في كيرالا عام 2014.

الإنسان والإعاقة من منظور الإسلام

نايلة طبارة

وحدانيّة البشرية

في الإسلام، تتحدر البشرية جمعاء من الأصول عينها، ذلك أنها تنبثق من نفس واحدة. يقول القرآن الكريم "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً (سورة النساء 1:4) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (سورة الأنعام 6:98).

أن نخلق من نفس واحدة يعني أننا متحدين في المبدأ. إلا أن القرآن يشرح أيضاً أن حتى ولو كنا ننبثق من نفس واحدة، شاء الله أن نكون مختلفين، فجعلنا من ألوان وجنسيات وأشكال متنوّعة. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (سورة الروم 30:22)

لذلك فنحن متحدّين في المبدأ ولكننا من مختلف الألوان والأشكال والجنسيات، اختلاف ليس إلا آية من آياته وتجلّ لمشيئته تعالى.

كرامة البشرية جمعاء

لقد كرم الله البشرية جمعاء: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" (سورة الاسراء 17:70)

لقد أنعم الله بهذه الكرامة على النساء والرجال كلّهم. إنّها لنعمة الهية، فلا يمكن للناس أن يأخذوها بعضهم من بعض. وبعد، على الجميع احترام كرامة كلّ انسان في جوّ ملؤه المساواة.

يقول الحديث النبوي الشريف: "الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربيهم على عجميهم، ولا لأبيضهم على أسودهم إلا بالتقوى. لا تفاضل إلا بالتقوى. 17 وفي حديث آخر يقول: لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى. إنّ أفضلكم هو أكثركم تقوى. 18

لا يحدّد الله لم فضلّ الإنسان على سائر المخلوقات، ولكن علينا الحفاظ على هذا التفاضل في أنفسنا كما في الآخرين. وعلينا أن نثمن هذه الهبة، هذه الفضيلة، في أنفسنا كما في الآخرين.

17 مستدرك الوسائل

18 البيهقي

في السياق عينه، وردت آيات ك: " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي (سورة الحجر 15:29) ندرك أنّ الله أعطى نفس الحياة لكلّ البشر من روحه. لذلك فإنّ روح الله حيّ في جميع البشر وهو يتجلّى في قلوبهم وأنفسهم بقدر ما يتمتّعون به من نقاء، لكن شرط أن يتقبّلوا طبيعتهم الهشّة.

محدودية البشر

على الرغم من أنّ الله كرم جميع البشر، إلا أنّ هذا لا يعني أنّهم غير محدودين أو أنّ ما من عيب يشوبهم. يتوقّف القرآن عند العديد من شوائب الإنسان ومواطن محدوديته، ما يدفعنا للنظر إلى أنفسنا كما نحن: مكرّمين من الله تعالى، ومحدودين في آن معاً! يقول القرآن الكريم على سبيل المثال: " وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا" (سورة النساء 4:28)، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (سورة الاسراء 17:11)، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (سورة ابراهيم 14:34) وإنه لحبّ الخير لشديداً (سورة العاديات 100:8) وكان الانسان قتورا (سورة الاسراء 17:100) كلاً إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفُرٌ إِنَّهُ رَأَى اسْتغنى (سورة العلق 96:6-7) وإنه لحبّ الخير لشديداً (سورة العاديات 100:8) والانسان خلق هلوفاً (سورة المعارج 70: 19-21)

وبالتالي فكلّ إنسان هو مخلوق مميّز ينعم بتكريم من الله تعالى ولكنه في الوقت عينه مخلوق محدود على الصعيدين النفسي والسلوكي، والناس جميعهم متساوون في هذا النطاق. كلّ منّا يشوبه ضعف على الصعيد النفسي، ولن يتسنى لنا التمتع بإنسانيتنا كاملة ما لم نقر بذلك.

ترتكز هشاشة الانسان إلى أربع أفكار أساسية:

الأولى نقيض التكبر. التكبر هو أن نفكر أنه بوسعنا أن نفعل أي شيء وأن نقاوم أي شيء. الهشاشة هي أن نعترف بمحدوديتنا.

الثانية هي أن نقبل بهشاشتنا، أن نتقبل أنفسنا كما نحن، وألا نحاول أن نتكلم لنشبه الصورة التي يودّ المجتمع أن نعكسها عن أنفسنا، بل أن نكون طبيعيين، حقيقيين، ألا نخشى أن نظهر أننا نشعر بالخوف أو برغبة بالبكاء في بعض الأحيان...

الثالثة هي أنّ الهشاشة تعني الإيجابية. يمكن أن تشكّل الهشاشة فرصة للنمو الشخصي، أو للتقدّم. وبطريقة غريبة هي فرصة من شأنها أن تزيدنا قوّة ذلك أنها تعلّمنا ألا نخشى ضعفنا. فنقول في قرارة نفسنا: نعم، انني متعب، انني مريض، لا يمكنني مقاومة كلّ شيء، فأنا لست من حديد.

الرابعة هي وجود الله. لا يمكن للمؤمنين أن يخافوا لأنّ الله يرعانا ونحن تحت جناحيه، وأسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن نبتعد عنه.

الأخ جان جاك بيرينيس، صدر بعد الوفاة، مدير المدرسة التوراتية في القدس في لقاء في الكويت عام 2009.

شخصياً لقد تعلّمت من لارش أن أدرك في الوقت عينه أنّ ثمة جمال داخلي في نفسي لم يتجلّ إلا بعد لقائي بنوي الاحتياجات الخاصة، وأن أعترف بمحدوديّتي، وأقبل بها. عليّ ألا أخفي هذه الشوائب والآعاقب نفسي بسبب شعوري في بعض الأحيان بالحسد أو الغيرة أو عدم الشعور بالحبّ أو الشعور أنّ ثمة رذائل تشويني، فقبولي بها هو ما حرّرتني. فقد سمح لي ألا أركّز عليها بل على المثابرة على إنجاز مهمّتي، مدركةً شوائبي، وهي أمور طبيعيّة، والافتتاح بأن حتّى ولو كانت موجودة، لن تمنعني عن عيش المحبّة، ولن تجهض الجهد الذي أبذله في سبيل الخير العام.

لقد سمحت لي أن أكون صادقةً مع نفسي ومع الآخرين، وآلا أضيع الوقت على تعذيب نفسي، بل أتعلّم كيف أكرّس وقتي لاكتشاف ذاتي، وللعمل الجادّ.

لقد تعلّمت أنّ كلّما قبلنا بمحدوديّتنا وهشاشتنا، بتنا أكثر شفافيةً وسمحنا لروح الله أن تعمل من خلالنا. كما تعلّمت أنّ اكتشاف هذه الروح لأمر مستحيل من دون نور الآخرين.

يعلّمنا الإسلام أيضاً أن ضعف الإنسان ليس الآ جزء لا يتجزأ من طبيعته البشريّة. بالفعل، تتدرج محدوديّة الانسان ومواطن ضعفه ضمن خطّة الله ومشيئته تعالى. يرد في الحديث: "كلّ بني آدم خطّائين وخير الخطّائين التوابون."¹⁹ لذلك على كلّ انسان الاعتراف، ولو لمرة واحدة، بالشرف والعظمة التي في داخله والآتية من الله كما بالهشاشة والمحدوديّة التي تجعل منه انساناً، والتي تشكّل جزءاً لا يتجزأ منه، لأنّه تعالى شاء ذلك.

ملكات الإنسان ومواطن ضعفه

إضافة الى ذلك، لكلّ الناس الملكات التالية، إلى جانب الجسد:

- النفس
- القلب
- العقل

ما يهّمنا هنا ليس تنمية هذه الملكات وتطويرها بقدر ما يهّمنا ما نفعله بها، كيف ننقيها.

على النفس أن تكون نزيهة موجّهة نحو الأمور الروحيّة وليس طمع المادّة، ذلك أنّ الروح هي كلّ ما هو طاهر وكلّ ما يأتي من الله: "والنفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها فذ أفلح من زكّاهما وقد خاب من دساها" (الشمس 7: 91-20) فنفسنا إمّا تميل إلى الطمع، إلى المادّة، أي إلى الأنانيّة أو اللامبالاة إمّا إلى الامتتان والأعمال الغيريّة والاهتمام بالآخرين وبالتالي إلى الأمور الروحيّة.

على القلب أن يكون سليماً، أي محصّن ونقي وممتلئ حبّاً، لا حقداً: "إلا من أتى الله بقلب سليم" (الشعراء 89: 26).

علينا أن نطهّر عقولنا من الأفكار السلبية ونملأه أفكاراً ببناءة، مهما كانت صغيرة: "إنّه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثمّ قتل كيف قدر". (سورة المدثر 81: 74-20)

¹⁹الترمذي

فعلى كلّ الناس أن يكونوا أنقياء بالقلب والعقل والنفس، سواء كانوا مصابين بإعاقة مرئية أو لا. لذلك يقول النبي أيضاً: " لا ينظر الله إلى صورتنا إنّما ينظر في قلوبنا"²⁰

إنّ قيمتنا، في نظر الله تعالى، ليست في شكلنا، إنّما في قلوبنا.

في لارش، يمكنني أن أوكد أنّ عندما يحصل شخص مصاب بإعاقة عقلية على المحبة والطمأنينة، تصيح نفسه أكثر نقاءً وشفافيةً من أيّ شخص غير مصاب بإعاقة ظاهرة، ذلك أنّ أظهرت التجارب أنّ شخص مصاب بإعاقة جسدية ظاهرة لا يسعى وراء المادة ولا يخضع للأنايئة كهؤلاء غير المصابين بإعاقة ظاهرة. هكذا نفهم لِمَ عندما يكون السلام في قلوب ذوي الاحتياجات الخاصة، يصبحون نبعاً لا ينبض من المحبة.

النظرة إلى الإعاقة

في هذا الصدد، بات المصاب بإعاقة نعمة، لا لعنة. فذوو الاحتياجات الخاصة، على بساطتهم، هم أكثر تجليات روح الله سموً، ويذكرون كلّ مَن، من خلال محدوديتهم الجسدية الظاهرة، بمحدوديته غير الظاهرة. وبذلك يدفعون الناس إلى العودة إلى إنسانيتهم. تعتبر الكثير من العائلات التي ترزق بطفل مصاب بإعاقة أنّه لعنة أو نتيجة لخطيئة اقترفوها، بيد أنّ الحقيقة الروحية مختلفة تماماً عن ذلك، لأنّ الطفل المصاب بإعاقة نعمة لمحيطه، سيّما إذا ما تمت معاملته بالقدر الذي يليق به من المحبة والكرامة والاهتمام.

تحدّث مصطفى، والد طفل مصاب بإعاقة في بنغلادش عن محاولته وابنه تغيير نظرة المجتمع إلى ابنه المصاب بإعاقة: " كان كلّ محيطي ينظر إلى ابني نظرةً سلبيةً. حتّى أنّ شقيقتي أبعدهت عنها في حفل زفاف قائلة: " لِمَ أحضرته؟" لقد صدمت كثيراً، وما زاد من وطأة صدمتي كان ردّ فعلها أمام الجميع. ونبهتها قائلاً إنّها، بناءً على دين الإسلام، على خطأ. ومع الوقت شرعت تتغيّر شيئاً فشيئاً، والآن باتت ترحب بروحان ترحيباً حارّاً. لكن ما زال هناك أشخاص ينظرون إليه بازدراء، ويحاولون أن يتجنّبوه... "

ذات يوم قال لي أحدهم في الجامع أنّ روحان ليس إلا ثمرة آثامي. فتوجّهت إلى الجامع، واستشرت الإمام ومن ثمّ عدت إلى ذلك الشخص الذي كان قد حدّثني وانتهى به الأمر أن زار منزلي للتعرف إلى روحان. ومنذ ذلك الحين، يسهر على مراقبته والاعتناء به إذا ما رآه في الخارج. أحاول، كلّ ما التقيت بشخص أن أقنعه أنّ ما من صلة بين الإثم والإعاقة. " الله وحده يعلم سبب الإعاقة. " لقد تغيّرت الأمور كثيراً في محيطي الأول - اليوم بات الجميع يحبّ روحان لشخصه. "

مصطفى، والد روحان، عضو أساسي من لارش ميمنسغ في لقاء في بنغلادش عام 2011.

²⁰صحيح مسلم 2564

أخبرت نينا، التي تعمل في مركز العناية طابيزة في بنغلادش، قصة لتظهر أن للأطفال المصابين بإعاقة هم أصحاب القلوب النقية التي يتحدث عنها القرآن. فهي لم تصادف الإعاقة العقلية لأول مرة في عملها، بل في عائلتها، أو بالأحرى من خلال شقيقتها البالغة من العمر 14 عاماً. اليوم باتت منغمسة جداً في حياة شقيقتها. في الماضي لم يكن من السهل تقبل نظرة الآخرين إلى شقيقتها ولذلك، فإن تجربتها الشخصية هي التي دفعتها إلى التقرب من الأطفال في المركز، وفهمهم بشكل أفضل. "أحاول أن أتكيف مع الطريقة التي يتواصلون فيها." "فأختي هي من أرشدني، من علمني".

"في الماضي، لم أكن أعرف شيئاً عن ذوي الاحتياجات الخاصة، ولكن بفضل شقيقتي إيرما، فهمت الكثير. أعتقد أن الله، القدير يعمل بعدل وإنصاف، على اختلافنا، وبين مختلف الأديان. أنا أحترم الأديان الأخرى كثيراً. لكن في ما يتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة، يطلب الكثير من الأشخاص، من مختلف الأديان، المساعدة من الآخرين، إلا أنهم لا يأخذون زمام المبادرة بأنفسهم." "بالنسبة لي، لا يشوب ذوي الإعاقة العقلية لا الكذب ولا المكر، لأن قلوبهم نقية. ويأتي هذا النقاء من علاقتهم المباشرة مع الله. فهناك حقاً شعباً مقدساً - فهم أول من يستجيب إلى مواصفات الأتقياء الواردة في القرآن الكريم."

نينا، من مركز طابيزة للرعاية، ميمسنگ، في لقاء في بنغلادش عام 2011.

عاش أبو بكر، شقيق أحد الأعضاء الأساسيين في لارش في أشا نيكتان لمدة 25 عاماً. وكان شقيقه أينما كانت العائلة، حتى في الجامع.

"إن رفض المجتمع ذوي الاحتياجات الخاصة يعود إلى شعورهم بالرفض حتى من قبل أفراد عائلتهم. أنا أعتبر، بصفتي مسلم، أن هؤلاء الأشخاص يقعون في صلب العالم الذي نعيش فيه. فهم أول من سيدخل الجنة. هم هبة من الله. فلا يمكننا أن نقدر هؤلاء الأشخاص إلا إذا كنّا ننتمي إلى هذه الفئة من المؤمنين. وبالتالي يمكننا أن نطلق على لارش اسم "بيت الله".

أبو بكر، شقيق أحد الأعضاء الأساسيين في لارش، في أشا نيكتان، في لقاء في كيرالا، الهند، عام 2014.

عند الولادة، كلّ منّا يواجه تحدّ أو يخضع لاختبار. وفي بعض الأحيان يكون هذا التحدي أو هذا الاختبار الإصابة بإعاقة. ولقد وضعنا الله أمام هذا المحنة ليختبر مدى ثقنا به، أو ليرى ما إذا كنّا سنكفر ونعتبر ذلك عقاباً. فإذا ما اجتازنا الاختبار، دخلنا الجنة. الإعاقة هبة من الله. لذلك إنّه لمن واجبنا ان نكون ممتنين إليه.

والدي أعضاء أساسيين في لارش، في أشان نيكتان في لقاء في كيرالا، الهند، عام 2014.

اليوم، لا بدّ من تغيير نظرة المجتمع للإعاقة، وهو موضوع تعمل من أجله منظمة لارش إلى جانب منظمات عالمية أخرى، بعد انبثاقه من صراع ذوي الاحتياجات الخاصة.

في الإخاء والحاجة إلى الآخر.

نايلة طبارة

الآخر مرآة لي

في حياتي كمسلم، يكتسي الآخر أهمية بالغة لي لأن الآخر هو مرآة لي: هو الذي يعكس الجمال والخير الذين أكتنزهما ولكن أيضاً مواطن ضعفي، فيساعدني ويحثني على فعل الخير والصبر والمثابرة. والعصر إنَّ الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (سورة العصر 103-1-3)

وبالتالي يسלט القرآن الضوء على الصداقة مشدداً على الدور الذي يضطلع به كل منّا في حياة الآخر " والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح وينهونهم عن الكفر والمعاصي ويؤدون الصلاة ويعطون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إنَّ الله عزيز حكيم. (سورة التوبة 9:71)

في هذا الصدد، ليست الصداقة إلا القدرة على إبراز الخير في الآخر ولكن محدوديته أيضاً. وكما ورد في الحديث، " المؤمن مرآة المؤمن". بالتالي فنحن مرآة لبعضنا بعض: فيمكننا ألا نخشى إظهار هشاشتنا لبعضنا البعض كما كرامتنا وجمالنا الداخلي.

الشخص المصاب بإعاقة هو مرآة للآخر.

يمكن للشخص المصاب بإعاقة أن يكون المرآة المثالية لوجهي الإنسان: فيسبب الإعاقة العقلية، يمكنه أن يعكس نقاوة روحه أكثر من أي شخص آخر، هي المجردة من الأمور الفكرية، ومن الأنا ومن التعلق بالمادة، وبسبب ضعفه، يمكنه أن يعكس ضعف الإنسان بالطريقة الفضلى.

انطلاقاً من خبرة العاملين في لارش، أقل ما يمكننا قوله هو أن اللقاء والأشخاص المصابين بإعاقة عقلية إنما هو نقطة تحول، يبدأ مفعولها من لحظة النظر "في تلك المرأة".

تقف تانيا، وهي معاونة في لارش في ميمسنغ، بنغلادش، عند التفاصيل المتعلقة بخبرتها مع لارش: قبل انضمامها للارش، كانت تانيا تعطي دروساً خصوصية بعد الدوام المدرسي في دقا، على مقربة من دار الأيتام، حيث يتم ترك الأطفال المصابين بإعاقة. كان دار الأيتام هذا يضم الكثير من الأطفال الذين أضحوا الآن أعضاء الجمعية. وتجدر الإشارة إلى أن تانيا لم تكن لتلتقي بذوي الاحتياجات الخاصة لو لم يقوم الطبيب أنتي بدعوتها. في بادئ الأمر، كانت تقوم بالعمل من أجل المال فقط، فتلك كانت مهنتها. ولكن عندما تعرّفت تانيا إليهم أدركت أن كل ما يهمهم هو: الصداقة.

ومنذ ذلك الحين باتت تخصص لهم المزيد من الوقت، من دون أن تتقاضى أي راتب. وذات يوم قالت لها أمها إن ليس عليها أن تقوم بهذا العمل من أجل زيادة مدخول البيت. ولكن في تلك الفترة ما كانت تكتسبه تانيا من خلال تمضية الوقت مع ذوي الاحتياجات

الخاصة كان أهم من المال بكثير. فهؤلاء الأشخاص، بعمق أفكارهم، بصدقهم وتجردهم من المادّة، ساعدوا تانيا على فهم أهميّة عيش اللحظة، والسعادة في الحياة اليوميّة والنعم التي يفيض بها الله علينا.

بحسب تانيا، في لارش، غالباً ما يكون الناس سعداء، ولا يباليون بالأمر الماديّة. فهذه البيئّة الحاضنة بالنسبة لهم تكفي. في ما يتعلّق بأواصر الصداقة المتينة، كتبت تانيا: "يعرفني الأعضاء الأساسيون خير معرفة. من نظرة واحدة، كلانا يعرف ما يشعر به الآخر. لقد أصبحنا أصدقاء مقرّبين هنا."

"هم أكثر من مجرد أصدقاء. هم توأم روحي. أشعر بعلاقة قويّة، لا بل حميمة، عندما أكون معهم. انا أعلم أنّ ثمة ما يشغل بالهم. أشعر بذلك. وهم أيضاً."

تانيا، معاونة في لارش ميمسنغ، في لقاء في بنغلادش عام 2011.

ويبقى من المهمّ ألا نغالي في تقديس ذوي الاحتياجات الخاصّة، كردّ فعل عكسي على الرفض والازدراء الذي كانوا يعانون منه في السابق، سيّما على الصعيد الثقافي. فدور الاحتياجات الخاصّة، وكما ذكرنا، يشكّلون بالطبع قيمة مضافة على المجتمع، ولكن يبقى المحور الأساسي ضرورة تمثين الأواصر بين الأشخاص، والامتناع عن تصنيفهم.

الآن بتّ أنظر إلى الآخرين نظرةً مختلفة. لقد حظيت بدعم عائلي، ولكنّي لم أتمكّن من تغيير فكرتهم أنّ ذوي الاحتياجات الخاصّة ضعفاء وأنّ علينا معاملتهم بلطف. لقد تمكّنت من اقناعهم بأنّ شخص مصاب بإعاقة لا يختلف عن سائر الناس.

دينا، معاونة في لارش، موج الحب في الاسكندريّة، مصر، خلال لقاء في لبنان، عام 2015.

قوة الإخاء التحويلية

تقع قيمة الإخاء في صلب دين الإسلام، وهي قيمة تمّ البناء عليها منذ عصر النبي محمد. فعندما هاجر المسلمون الأوّلون من مكّة إلى المدينة، لم يكونوا ليقفوا على قيد الحياة لولا روابط الإخاء. فكان شعب المدينة قد قدّم الإخاء للمهاجرين من مكّة. هذا يعني أنّ شعب المدينة اقتسم ما كان عنده بالتساوي والمهاجرين من مكّة، ما سمح للمسلمين الأوّلين أن يبقوا على قيد الحياة.

ومع مرور الوقت، باتت كلمة الإخاء تكتسي معنىً روحياً، وبات الأشخاص يعتبرون أنّهم إخوة وأخوات في المجتمع بمعناه الواسع (الأمّة). وهناك من عاش قيمة الإخاء بمعناها العميق، حتّى صارت تعرف بالفتوة. والهدف من ذلك كان أن يتعلّم الإخوان المشاركة، ولكن الأهمّ من ذلك، أن يكون الواحد مرآة للآخر، ويساعدون بعضهم البعض على النموّ الروحي. قال الحكيم أبو أحمد الحافظ:

"إنّ الأخوة الحقيقيّة أن يحمل الأخ لأخيه مشاعر المودّة الصادقة، وأن يوصيه ويرشده بالكلمة، وأن يكون معطاءً ويدعمه بما يملك، وأن يكون المثال الصالح بالقيام بالتصرّف الروحي القويم، وأن ينصر أخاه في غيابه بالطريقة الفضلى".²¹

فالأشخاص الذين اعتنقوا هذا الشكل من أشكال الأخوة، أي الفتوة، كانوا أصحاب تلك القوّة التحويلية. فهم يقولون:

"اللقاء بالأخوة، مهما كان قصيراً، إنّما هو مصدر نعم" و"اللقاء بالأخوة، ينمي في الدين ويزيل الشكوك".²²

تشكّل تجربة لارش قيمة مضافة لقوّة الإخاء التحويلية، لأنّها تلتقي والقوّة التحويلية التي يحملها كلّ لقاء بشخص مصاب بإعاقة.

وقد عبّرت كاثي عن ذلك بأجمل العبارات قائلة:

"تعلّمت أنّ التجربة التي خضناها والضعفاء هي بمثابة نور، يمكننا من قراءة ماضيها والنظر في مستقبلنا أيضاً.

كاثي، مسؤولة عن بعثة لارش في فلسطين، خلال لقاء في فيوم، مصر، عام 2008.

بيد أنّ هذا النور وهذه القوّة التحويلية ليست من المسلّمات. علينا أن نتخطّى صعوبات الحياة اليومية ونقطف ثمار الحياة الروحية. وعن ذلك تقول تانيا:

"كلّ يوم أمضيه مع الأعضاء الأساسيين يحمل إليّ جديد. لقد أصبحت مدمنة على وجودهم في حياتي. وأعتقد أنّ الذين غادروا هم الذين أثبتت عزيمتهم أول عقبة، ألا وهي صعوبة المهمّة. فهم لم يبقوا ليتسنى لهم الغوص إلى العمق."

تانيا، معاونة في لارش، في لقاء في ميمسنگ، في لقاء في بنغلادش، عام 2011.

تصف تانيا أيضاً بطريقة حسنة القوّة التحويلية التي يحملها الإخاء:

اليوم أنا أعمل على إطلاق مبادرات مع الأعضاء الأساسيين وعائلاتهم. لقد أحدثت الحياة ضمن جماعة تغيير جذري في حياتي. صرت أشعر بسلامٍ داخلي لا يوصف وثقة ليس لهل مثل، ما يمكّنني من مواجهة الصعوبات والمجهول من دون خوف.

²¹ فوزي صقلي: فتوة ميشيل ألبن 1989، ص.

²² 101 فوزي صقلي: فتوة ميشيل ألبن 1989، ص.

ثانياً، معاونة في لارش، في لقاء في ميمسنغ، في لقاء في بنغلادش، عام 2011.

في الإطار الفرنسي، يصف يمين القوة التحويلية على أنها لا تقوي كل شخص وحسب بل أنها تمكّن للأشخاص من تقبل الآخر كما هو.

"في البداية كنت أحاول أن أخفي حقيقتي. لكن مع الوقت تعلمت أن ليس في عيب وقيلت نفسي كما انا. لكن تجدر الإشارة إلى أن هذا الأمر يسهل على الأعضاء الأساسيين أكثر من معاونين."

يمين، معاون في لارش فرنسا، في لقاء في تروسلو عام 2012.

الإخاء والصداقة هما ببساطة كل ما هو متوقع من الأشخاص الذين يعيشون ضمن هذه المجموعة، سواء كانوا أعضاء أو معاونين، ما يخلق جواً من التحوّل والتعليم المتبادل:

ما هي حاجات أعضاء المجموعة المسلمين؟

- الصداقة.

جواب والدي أحد الأعضاء الأساسيين في كيرالا، الهند، عام 2014.

إنّ عبارة "صرخة الفقراء" التي غالباً ما نستعملها في لارش، لم تكن تعني لي شيئاً حتى التقيت بسلمان في مستشفى في الكويت. عندما لمستته تأثرت كثيراً. كان يبحث عن صديق، منتقلاً من شخص إلى آخر، مصافحاً الواحد تلو الآخر. لقد حاول جاهداً أن يمنعنا من المغادرة. حتى أنه بكى. بالنسبة لي، تلك هي الصرخة التي يطلقها المصاب بإعاقة. فهو بحاجة ماسة لصديق.

يمين، معاون في لارش في فرنسا، في لقاء في فيوم، مصر، عام 2008.

نحن نعيش معاً ونستقي من تجاربنا والأعضاء الأساسيين، سيما تلك المتعلقة بالمحبة والترحيب بالآخرين.

إسرافيل، معاون في لارش في ميمسنغ، في لقاء في تروسلو عام 2012.

في البداية كنت أظن أن لدي المعرفة الكاملة التي سأنقلها إلى المشاركين في ورش العمل. لقد قيل لي: احرص على الاستفادة أيضاً، لأنّ في التبادل غنى. وفي هذه اللحظة فهمت كيف تهتم لارش بذوي الاحتياجات الخاصة، وتتنظر إليهم نظرة احترام وتقدير.

دينا، معاونة في لارش موج الحبّ في الاسكندرية، مصر في لقاء في لبنان عام 2015.

علاقة ثلاثية

ليست هذه القوة المحولة إلا تجلّ للمحبة الصادقة بين الإخوان والأخوات، الذي يبلغ ذروته في حال الإصابة بإعاقة عقلية، ذلك أنّها تمكّن الانسان من اختبار المحبة الصادقة المجردة من المصالح الشخصية والحاجات المادية.

ويقف الحديث المعنون حديث الذين يحبون بعضهم في الله علي ما يلي:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله، ألا نخبرنا من هم؟ قال عليه الصلاة والسلام: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ رسول الله هذه الآية القرآنية: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون." (سورة يونس 10:62)

فالإخاء الحقّ والصدقة الحقّة هما أن نكون أقرب من الله، بما أنّهما يمكّنانا من ممارسة الإيمان بسياق آخر وبمعنى آخر أيضاً.

لقد تعلمت أنّ ذوي الاحتياجات الخاصة يعكسون جمال علاقتي بالله وأهميتها. فمجرد وجود ذوي الاحتياجات الخاصة يفتح المجال للقاء مع أشخاص من أديان أخرى. فليست كلّ علاقة نبنيها مع شخص مصاب بإعاقة إلاّ مرآة تعكس جمال إيماننا.

ناديا، معاونة في لارش فرنسا، في لقاء في فيوم، مصر، عام 2008.

كانت تجربتي في السفينة (لارش في سوريا) مغنية كثيراً بالنسبة لي، سيّما على الصعيد الروحي.

شارك فادي، المصاب بالتوحد في ورشة العمل. فكلمّا سمع الأذان، شدّ كمّي. وكنت أقول في نفسي أنّ الله يدعوني من خلاله. كان يسألني إذا ما قمت بالتوضؤ. كنّا نصلي معاً، ومع فاطمة المصابة هي أيضاً بالتوحد والبالغة من العمر 25 عاماً. كانت فاطمة سعيدة جداً كلّما ارتدت ثوب الصلاة. هي بالطبع لم تكن تعلم كيفية القيام بكافة الخطوات والحركات، لذلك كان فادي يعلمها. لقد أثّرت هذه اللحظات فيّ كثيراً وطبعت في ذهني ذكريات لم ولن يمحيها الزمن أبداً.

مجدولين، مسؤولة عن مجموعة التواصل في الكويت، في لقاء في فيوم، مصر، عام 2008.

بناءً على تجربتي الخاصة، يكتسي شهر رمضان بقرب ذوي الاحتياجات الخاصة حلّة جديدة: ذلك أنّ أكثر اللحظات التي نشعر فيها بهشاشتنا، هي التي تقرب المسافة بيننا وبين ذوي الاحتياجات الخاصة، فنتعلم كيف نتشارك الهشاشة وإياهم. بالتالي فشهر رمضان يستمدّ كلّ معناه من وجودنا بقرب ذوي الاحتياجات الخاصة.

وسيم، عضو في مجموعة التواصل في الكويت، في لقاء في فيوم، مصر عام 2008.

الإصلاح والشفاء

بالفعل، يبدو جلياً أنّ كلّ من الإخاء والصدّاقة يساعد الأعضاء الأساسيين والمعاونين على الشّفاء، على إصلاح علاقتهم بأنفسهم، وبالآخرين، وبالله.

أنا من عائلة مسلمة منفتحة وغير متديّنة. تطوّعت في لارش لمدة عام. كنت أريد أن أكون مدرّس رياضة. كنت أكرّس ستّاً أو سبع ساعات في الأسبوع لممارسة الرياضة. ولكن إصابة بسيطة وضععتني في موقع الضعيف. كان معاونو لارش يزوروني ويسألون عن حالي. كانوا يأتون إلى منزلي بميني فان. هذه هي الصداقة الحقيقيّة: ان يقولوا لي: "لا تبقى في المنزل! تعال معنا إلى ورشة العمل!" من ثمّ قررت أن أدرّس الموسيقى والتربية المدنيّة بما أنّ علاقتي وذوي الاحتياجات الخاصّة شكّلت نقطة تحوّل في حياتي. ففي وقت ضعفي أحاطوني وتقبّلوني. أحدثوا في حياتي تغييراً نوعياً. لم يستطع ولا المقربون ولا والداي فهم ذلك. وعلمتني هذه التجربة أيضاً حسّ المسؤوليّة في ديني. فعلاقتي بذوي الاحتياجات الخاصّة حملتني إلى تحمّل مسؤوليّتهم، أن أكون المثال الذي يحتذى به. فرأيت الطريقة التي قبلوا فيها ضعفي. ولذلك أعتقد أنّ إذا سنحت لهم الفرصة أن يطلقوا العنان، ويعطوا كلّ ما لديهم، سيلحق هذا التغيير بهم أيضاً. وهكذا ثبتّ بالإيمان.

هيثم، معاون في لارش بيت لحم، فلسطين، في لقاء في لبنان، 2015

تعلمت من الأعضاء الأساسيين البساطة. عندما لا أكون بحال جيّدة، أتوجّه إليهم، فيبعثون في قلبي الفرح من جديد.

دينا، معاونة في لارش، الاسكندرية، مصر، في لقاء في لبنان عام 2015

ساعدتني تجربتي في لارش على تخطّي صعوبات الحياة، كوفاة والدتي. فكانت هذه التجربة نقطة تحوّل في حياتي، علمتني كيفيّة التوفيق بين كافّة الأبعاد من أجل المضيّ قدماً.

ناديا، معاونة في لارش فرنسا، خلال لقاء في فيوم عام 2008.

بعد بضع سنوات، كنت مستاء بعض الشيء من المسؤولين. لكن كان يمتدني شعور مبهم تجاه الأعضاء الأساسيين: كانوا يشعرون أنني لست بشخص سعيد. من دون أن يتفوهوا بحرف، كنت أعلم أنّهم يشعرون بحزني. وهذا ما ساعدني على تخطّي الصعوبات والمباشرة في البحث عن الحلول.

ناديا، معاونة في لارش فرنسا، خلال لقاء في تروسلو عام 2008.

إن الشخص المصاب بإعاقة بريء وحقيقي لدرجة أنّه يجبرك على الوقوف أمامه بتجرّد تامّ. في لارش، يبدأ ذوو الاحتياجات الخاصّة بسؤالك: "ما اسمك؟" واللانحة حدّث ولا حرج. في ما يتعلّق بتجربتي الخاصّة، يمكن أن يعرّضني كلّ من اسمي ووجهي إلى أقبح أشكال التمييز. فكلمّا بحثت عن تدريب مهني قوبلت بالرفض لهذا السبب. ولكن كلّما تواجدت مع ذوي الاحتياجات الخاصّة، ما واجهت أيّ مشكلة من هذا النوع.

لقد فوجئت في لارش، بأنّ أحدّ لم يسأل عن أصل اسمي. ذات يوم، سمعتني فتاة ذات احتياجات خاصّة أتكلّم العربية. وسألتني: "أيّ لغة تتكلّم؟" قلت: "العربيّة". قالت: "هل أنت عربيّ؟" قلت: "ألا يدلّ شكلي على ذلك؟" فردّت قائلة: "كلاّ."

وبدأت أشعر شيئاً فشيئاً أنّ الأمور تتحسن، وأني بحال أفضل. فقد علمني ذوي الاحتياجات الخاصة مبدأ التسبب، وكيفية طرح الأسئلة المناسبة في الوقت المناسب. وعندما شعرت بهذا السلام الداخلي، أصبحت أكثر انفتاحاً وأكثر قدرة على فهم نفسي والتعبير عن العواطف التي تختلجني.

يمين، معاون في لارش فرنسا، في لقاء في فيوم، مصر، عام 2008

بفضل الجماعة، تمكنت من اكتشاف الهبات والقدرات التي أنعم الله بها عليّ. أنا أعمل على الحاسوب، يمكنني أن أدرس، أن أكتسب المزيد من القدرات. لكن قبل ذلك كنت صارماً، ولم أكن أسكت عن أيّ تصرّف عدائي. وسرعان ما فهمت أنني عندما أنفعل، أضع نفسي في مكانة المعتدي عينه ولا أكون أفضل منه بشيء. ذات يوم قالت لي أمي: "ها قد أصبحت شخصاً روحانياً".

تانيا، معاونة في لارش ميمسنگ، في لقاء في بنغلادش عام 2011.

منذ سنوات، أنت مجموعة من الأشخاص إلى المجمع السكني في بنغلور حاملة شخص عارٍ، غير قادر على الكلام أو حتى الحركة.... وقالوا للجماعة: لا يمكن لهذا الشخص أن يبقى هكذا على الطرقات... هلاً تضمونه إلى جماعتكم؟ كان يفهم الأوردو، فخلنا أنه مسلم، وكان لا بدّ من أن يكون له اسم... فأطلقوا عليه اسم عبد الله لأنه كان يبدو مسلماً. لم يتم الترحيب به بحفاوة، ولكن شيئاً فشيئاً بدأ يجد مكانه في المجموعة.

وكلّ يوم جمعة، كان المعاونون يأخذونه إلى أقرب جامع. ولكنه كان يملأ الدنيا صراخاً رافضاً ارتداء السروال الطويل، لكنهم كانوا يصرون على أخذه إلى الجامع.

ذات يوم، رافقه معاونه، إلى الجامع الكبير الواقع في الجانب الآخر من المدينة.

وكالعادة، بدأ عبد الله بالصراخ وطلب إليه ومرافقه المغادرة. وفيما كانا يغادران، صرخ أحدهم في الجامع: "إلياس!". وفجأة، التفت عبد الله. ثم قال الرجل: "هذا قريب، إلياس". وبعدها أتى والده وشقيقته إلى الجمعية: وقّر عبد الله أن يرافق والده ليريه المكان الذي بات يقيم فيه. وظنّ المعاونون أنّ سبب زيارة والد عبد الله لابنه هو أن يعيده إلى المنزل، ولكن سرعان ما قال: لا، هنا تعلم ابني معنى الحياة، لقد كبر، تعلم المشي والعمل والتصرّف... ولكني أريد منكم شيئاً، وهو أن تقبلوا دعوتي إلى منزلي." وفي اليوم التالي أرسل بحافلة لتقلّ المجموعة برمتها إلى منزله.

وتبين لاحقاً أنّ والدة عبد الله كانت قد تركته للحظة، وأنه في هذه اللحظة خرج من المنزل وصعد في عربة. وبعد ما انطلق السائق، اكتشف أنّ عبد الله عاجز عن الكلام، فتركه في المستشفى. وهرعت أسرته إلى الشرطة لتعلمها بأنّ عبد الله مفقود، وتوجّهنا نحن أيضاً إلى الشرطة لتعلمها بأننا وجدنا شاباً، في الوقت عينه. ولكن لم تقم الشرطة بالربط بين هاتين المعلومتين بتاتاً. لم تتجرأ والدته على ترك المنزل منذ اختفائه، واعتقد الجميع أنّ تجار الكلى هم الذين أقدموا على خطفه.

تكریم الإنسان لشخصه هو بذاته حياة جديدة. فيمكننا، ببساطة ان نعيش سوياً، نحن البشر، مكرّسين قيم الشفاء والإصلاح والكرامة والأمل والشهادة...

إيلين، لارش إنترناشيونال في لقاء في تروسلي، عام 2012.

في أي وقت من حياتك شعرت أنك الأكثر قرأً من الله؟

في الأوقات التي كنت أشعر فيها أنني مهمل، عندما كنت تائهاً. وكلما ضربتني زوجة أبي.

هل يحبك الله يا قشوم؟

الله لا يضرني أبداً إنما يواسيني. فهو يحبني.

قشوم، أحد الأعضاء الأساسيين في لارش ميمسنغ، في لقاء في بنغلادش عام 2011.

نحن هبة لبعضنا البعض، وللعالم أيضاً.

بناءً على كل الأمثلة على الإصلاح والشفاء المذكورة أعلاه، يبدو جلياً أنّ المعاونين والأعضاء هم هبة لبعضهم البعض.

إحدى أولى العناصر في العيش ضمن مجموعة هي أننا لا نختار بعضنا البعض. إنّما إخواننا وأخواتنا فهم هبات من الله.

الأخ جان جاك بيرينيس، في لقاء في فيوم، مصر، عام 2008.

لكن هذه الهبة لا تأتينا دائماً على طبق من فضة. فيواجه المعاونون والأعضاء الأساسيون العديد من المشاكل، وفي العديد من

الأحيان يقبلون بهذه الهبة ولكن يمتنعون عن معاملة الآخر بالمثل!

أعتقد أنه لا بدّ من الانطلاق من الفكرة التالية: "أودّ أن أبقى في لارش، وبعدها أن نغوص في حقيقة الذات والآخر، أي أن نخوض المرحلة التي تتلو شهر العسل. وبعدها هناك دعوة لسؤال الذات: "هل أسلك هذا الدرب وأنا على يقين أنّ يمكن أن تخور قواي في أي وقت؟ عليّ أن أسلك هذا الدرب لأنّ الله قد دعاني، ولأنّ العلاقات هي بذاتها هبة من الله، ولأنّ قبولي بذلك أوطد علاقتي به تعالى.

إيلين، نائبة رئيس لارش إنترناشيونال في لقاء في تروسلي عام 2012.

هل القيم التي تركز إليها لارش، قيماً مسيحية؟ برأيي، إنها قيّم عالميّة... فكيف يمكننا التمييز ما بينها لتحديد القيم العالميّة التي تتكلّم بلسان الجميع؟

جان فانبيه في لقاء في تروسلي عام 2012.

لقد اكتشفت هذه المجموعة كما حياة التقوى والصلاة وأنا في خدمة الأعضاء الأساسيين، ولاحظت أنّ ثمة قاسم مشترك بيننا وبين المسيحيين ألا وهو الرغبة في خدمة الآخر. فأنا أعتقد أنّ هذه الروح الجامعة للأديان مصدر غنيّ وأنها مثال حيّ على أنّ الصعوبات والعوائق تولد من رحم محدودية البشر، أي من داخلنا قبل أي مكان آخر. يعتبر بعض الأشخاص من خارج المجموعة أنّنا "نعيش كالمسيحيين". فهم لا يفهمون أنّنا ننتشر وإياهم ما يمليه علينا ديننا: أن نساعد الضعيف، ونساعد بعضنا البعض.

تانيا، معاونة في لارش ميمسنغ في لقاء في بنغلادش عام 2011.

تشبه خبرتي في الحياة شخص يتوجّه إلى السوق حاملاً معه كيس فيه كلّ ما هو بحاجة إليه. ولقد اكتشفت أنّ يمكننا أن نستقي من الثقافات والأديان الأخرى والأشخاص، على اختلافهم. فالسكان الأصليين، أي عائلتنا، أي أعضاء لارش، يتشاركون وإيانا المفاهيم والقيم عينها.

خلقنا الله لنحب بعضنا البعض.

إذا ما ناقشنا معتقداتنا وكلّ ما ننتمي إليه، لا يمكننا أن نعيش سوياً. ولكن عندما نعمل سوياً، يعبر كلّ منا عن رغبته في دعم الآخر ومساعدته.

تقيم، ضمن هذه المجموعة، العديد من الفعاليات، والمهرجانات ولكننا نقدّم الدعم أيضاً للأعضاء الأساسيين على أساس يومي، وندعو الأشخاص لنرى ما إذا كان بوسعهم أن يفهمونا فهماً أفضل، فنعيش في جوّ ملؤه السعادة والاحترام.

عندما يحين وقت الصلاة، نلقى دعم الأشخاص الذين يساعدونا على التعمّق أكثر فأكثر بديننا. كما نخصّص يوماً واحداً في الأسبوع لنكتشف المسيحية ويوم آخر للإسلام. فكلّ منا يتعلّم من الآخر.

اسرافيل، معاونة في لارش ميمسنغ، في لقاء في تروسلي عام 2012.

في المؤسسات الأخرى يطلق على الأعضاء اسم "المرضى". لكن هنا، نحن نتحدّث عن عائلة، نحن ننتشر كلّ شيء، حتى الطعام، كما نتعلّم كلّ ما يجب معرفته عن الله. كان هناك معاون يقول لي في كلّ صباح "سلام" ولكن كان مطلوب منّي ألا أردّ السلام إن لم يكن الشخص مسلماً. وسرعان ما اكتشفت أنّه كان يختار هذه الكلمة احتراماً منه لديني. إنّه لمن دواعي سروري أن أعمل في لارش لأنّها تقرّني من الله تعالى، فيفيض عليّ بنعمه تعالى.

شاكيلا، معاون في أشان اندي بازار، الهند، في لقاء في كيرالا عام 2014.

التنوع الديني من منظور الإسلام

نايلة طيارة

"يا أيها الناس، اتقوا ربكم الذي خلق منها زوجها وبتّ منها رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تسانلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً.." (سورة النساء 4:1)

ولدنا نحن البشر من نفس واحدة، ما يعني أنّ في المبدأ كلنا واحد. ولكن شاء الله أن نكون مختلفين، حتى في إطار هذه الوحدة. لم تتوقّف رغبة الله في أن نكون مختلفين عند اختلاف اللغة أو اللون أو الشكل. فيقول لنا القرآن الكريم إنّ شاء الله أن نكون مختلفين حتّى في الدين: "لكلّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة ولكن ليبلوكم في ما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فيؤنّبكم بما كنتم فيه تختلفون. (سورة المائدة 5:48). لم يشأ الله أن يجعل منّا أمةً واحدة من المؤمنين، فهو من أعطى لكلّ منّا شريعةً ومنهاجاً مختلفاً. وفي آية أخرى يقول: "لكلّ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كلّ شيء قدير. (سورة البقرة 2:148) ولكلّ أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهم إليه واحد فله أسلموا وبشّر المخبئين" (سورة الحجّ 22:34)

هذا يعني أنّ لكلّ أمة ممارساتها وشعائرها، وأنّ لا بد من أن يحترم الناس ويكرّموا هذا التنوع النابع من مشيئته تعالى.

من الاقصائية إلى التعددية

إذاً، لم هناك أشخاص يرفضون سائر الأديان وممارساتها باسم الإسلام؟ يعود ذلك إلى آيات قرآنية أخرى تصعب المهمة، فلا يتسنى لنا فهم أنّ التنوع نابع من مشيئة الله، كآية 19 من سورة العنكبوت: "إنّ الدين عند الله الإسلام" والآية 85: "من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين". فيبدو جلياً أنّ هذه الآيات تتنافى وتلك المذكورة سابقاً، لذلك تدعو الحاجة إلى خبرة العلماء في تأويل رسالة الله وإزالة الالتباس عنها.

في هذا الصدد، تمّ طرح ثلاث حلول واضحة: الأولى وهو الأسهل وهو يعود لمتأولي القرون الوسطى وما زال يتمسك به العلماء المتشددين والمجموعات الإرهابية. فبنظرهم، تبطل آيتي آل عمران الآيات الأخرى، أي تلغي الآيات الآنف الذكر والآيات القرآنية كافة التي تسلط الضوء على أنّ التنوع نابع من مشيئة الله تعالى. وهذا الحل، على بساطته، لا يتبع منهجية القرآن أو منهجية البطلان، ذلك أنّ أولاً، يحذّر القرآن من استعمال بعض من مقاطعه لتحقيق أغراض كرفض الآخر مثلاً: "ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى فتادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عما تعملون." (سورة البقرة 2:85)

ثانياً، مبدأ الإبطال مرتبط بالممارسات، كتحريم الكحول الذي أتى تدريجياً، فتعمل كلّ آية على إبطال تلك التي سلفتها بحسب التسلسل الزمني للنزول، فننتقل من الآية التي تقول إنّ للكحول منافع وأضرار إلى الآية التي تسلط الضوء على عدم شرب الكحول قبل تأدية الصلاة إلى الآية التي تدعو المسلمين إلى الابتعاد عن شرب الخمر. في هذه الحال، لا تتعلّق الآيات بمسائل قانونية بل هي تظهر في سورة العنكبوت التي أنزلت قبل سورة المائدة هي التي تشدّد على أنّ التنوع الديني يعكس مشيئته تعالى.

إذا فأقل ما يقال عن الموقف الأول هو أنه ضعيف شدّ الضعف.

ظهر أيضاً موقف آخر في القرون الوسطى يدعو إلى النظر إلى الإسلام، في هذه الآيات، من الباب الواسع، أي ما هو أوسع من دين الإسلام، ما يضمّ الأديان كلّها التي تعبد الله، كما ورد في الآية التالية: "ومن أحسن ديناً ممّا أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتّخذ الله إبراهيم خليلاً." (سورة النساء 4:125)

بحسب التأويل الثالث، يتمّ تصوير الإسلام على أنه الدين الأفضل، والتشديد على ضرورة اعتبار الأديان الأخرى دروب مؤدّية إلى الله تعالى. بالتالي، يمكن للمسلمين أن يعتبروا الإسلام الدين الأفضل، الصراط المستقيم، ولكن في الوقت عينه أن يقبلوا ويعترفوا بالأديان الأخرى على أنها نابعة من مشيئة الله ودروب مؤدّية إليه تعالى.

بالفعل، يبدو أنّ التأويل الثاني والثالث هما الأكثر انسجاماً ورسالة القرآن المتعلقة بالأديان الأخرى. لذلك فهي تُدعى التأويل التعدّدية لأنها تقبل الأديان الأخرى سيّما أنها تنتظر إلى كلّ من هو من دين آخر على أنه مؤمن، خلافاً للتأويل الأول الإقصائي والمستند إلى التكفير، أي إلى وضع ذوي الأديان الأخرى في خانة الكفار.

الخلاص والاعتراف

يعد القرآن بالخلاص أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) والصابئين (دين أتباع يوحنا المعمدان (النبّي يحيى) وكلّ من آمن بالله وباليوم الآخر (أي الذين يؤمنون أنّنا مسؤولون عن أفعالنا وأننا إلى الله راجعون) وكلّ من قام بالصلوات. بالفعل، كُزرت الآية عينها في القرآن مرتّين للتشديد على أنّ الله سيخلص كل الذين ورد ذكرهم أعلاه: "إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون." (سورة البقرة 2:62)

إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله وباليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون." (سورة المائدة 5:69).

فعبارة "فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" تعني أنّ ليس عليهم أن يخشوا يوم الحساب وأنهم سيكونون سعداء ببعيده. فقد وعدهم الله بالجنّة، الإله الواحد، وإله جميع البشر:

" لا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتّي هي أحسن إلّا الذين ظلموا منهم وقولوا آمناً بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا إلهكم واحد ونحن له مسلمون." (سورة العنكبوت)

ولكن يحرص القرآن كثيراً على الابتعاد عن التعميم. فتأتي آية أخرى لتشرح أنّ الخلاص غير مرتبط بهويّة الفرد إنّما بأفعاله:

ليس بأمانيتكم ولا أمنيّة أهل الكتاب من يعمل سواء يجز به ولا يجذله من دون الله وليّاً ولا نصير ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيراً. (سورة النساء 4:123-124)

لذلك لا يدخل المرء الجنّة لأنّه مسلم أو مسيحي أو يهودي أو لأنّه ينتمي إلى هذا الدين أو ذاك، بل لأنّه أقام الصالحات، في ظلّ الرحمة الإلهيّة طبعاً.

كما يحرص القرآن على عدم إطلاق التسميات على المجموعات. فعلى الرغم من إشارة بعض الأئمة إلى أتباع الديانات الأخرى على أنهم كفار أو مشركين، إلا أن القرآن لا يستعمل هتين الكلمتين إلا للإشارة إلى الذين كانوا يؤمنون بالشرك في مكة والذين كانوا يحاربون الرسول والمسلمين الأولين. في ما يتعلق بالديانات الأخرى، يشير إليهم القرآن بأهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) أو بأسمائهم: المسيحيين، اليهود، الصابئين والمجوس. لا يأتي القرآن على ذكر الكفر في الديانات الأخرى إلا عند تسليط الضوء على الفرق في العقيدة، بيد أنه لا يطلق تسمية كافر أو مشرك إلا على مشركي مكة.

وعلى الرغم من عدم ذكر القرآن إلا أربعة أديان، بات بعض العلماء المسلمين يعتقدون أنه يمكنهم النظر إلى الديانات الأخرى على أنها تجلّ لمشيئة الله تعالى، ذلك أن التنوع هو بحدّ ذاته تجلّ لمشيئته، وأنّ القرآن يضمّ آيات كالتالية:

فاطر 35:24. إنّ أرسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً وإنّ من أمة إلا خلا فيها نذير.

ويضيف القرآن في سورة النساء 4: 163-164: إنّ أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ولأسباط وعيسى وأيوب وهارون وسليمان وأتينا داوود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل رسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً.

بالتالي يقول القرآن إنّ الله أرسل الرسل إلى أمم الأرض ولكّنه لم يأت على ذكر أسمائهم في القرآن ما سمح لعلماء كثيرين أن يعتبروا العديد من الديانات الأخرى كالهندوس والبوذية على أنها أديان سماوية، حتّى ولو لم يرد ذلك في القرآن الكريم.

العلاقة بذوي الأديان الأخرى.

ليست الخطوة الأولى في بناء علاقات وذوي الأديان الأخرى إلا الاعتراف، الاعتراف بأنهم يعتقدون دين هو بنفسه تجلّ لمشيئته تعالى. وتأتي هذه الخطوة كاستكمال لجملة من الخطوات الأخرى.

يا أيّها الناس إنّنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير. (سورة الحجرات 46:13)

وفي كلّ لقاء حول الحوار بين الأديان يتمّ اقتباس هذه الآية لأنّها تحمل دعوة للانفتاح إلى الآخر والتوجّه إليه ولقاءه. وبحسب بعض العلماء، " إنّ بناء العلاقة يبدأ بالتعارف، وكأنّ الله أمرنا بالتوجّه إلى الآخر الذي يختلف عنّا من حيث انتمائه العرقي والديني والتعرّف إليه والتقرب منه". بيد أنّ ثمة آيات قرآنية تنهي المسلمين عن اعتبار المسيحيين أو اليهود حلفاء، وبحسب البعض، لا يجوز حتّى اعتبارهم أصدقاء، كما يرد في الآية التالية:

يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنّه منهمك إنّ الله لا يهدى القوم الظالمين (سورة المائدة 5: 51)

حتّى أنّ هناك آيات تدعو إلى محاربة أهل الكتاب، وهي التي يستند إليها منطرفو اليوم:

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. (سورة التوبة 9: 29).

ولكن يعلم العلماء المتبحرين أن من أجل فهم هذه الآيات، يجب النظر إليها في سياقها. فهذه الآيات أنزلت على خلفية نشوب النزاع الأول بين المسلمين الأولين وبعض قبائل اليهود في المدينة، ولذلك على الدعوة إلى القتال أن تبقى محصورة في هذه الفترة الزمنية وهذه الرقعة الجغرافية. أما الدعوة إلى عدم اتخاذ اليهود أو المسيحيين كحلفاء فتعود أيضاً إلى كون كلا المسيحيين واليهود حلفي حرب خلال الفترة عينها. ولكن خارج هذا الإطار، يدعو القرآن إلى بناء علاقات ودّية والديانات الأخرى، سيما وأهل الكتاب.

"اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهنّ أجورهنّ محصنين غير مسافحين ولا متّخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين." (سورة المائدة 5:5)

هذا يعني أن القرآن يدعو لبناء علاقات وطيدة وأهل الكتاب سيما عندما يتعلّق الأمر بتناول الطعام سوياً، وبمشاركتهم طعامهم (إلا الطعام الذي حرّمه الاسلام كحلم الخنزير والكحول) كما يشجّع زواج المسلمين من أهل الكتاب رجالاً ونساءً.

وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ كلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. (سورة المائدة 48:5)

يدعونا الله إلى معاملة ذوي الأديان الأخرى باحترام دينهم كتجلّ لمشية الله وأن نتحمّل معهم مسؤوليّة القيام بالصالحات، وعدم هدر الوقت في المناقشات أو السجالات التي تتمحور حول الاختلاف في العقيدة، بل إدراك أننا إلى الله راجعون وأنه سيشرح لنا في النهاية ماهية اختلافنا والأسباب الكامنة وراءه.

الاعتراف بخبرة الآخر الدينيّة، بكتبه وبدور العبادة الخاصّة به.

إضافةً إلى دعوة القرآن المسلمين إلى بناء علاقات جيّدة مع ذوي الأديان الأخرى، يدعونا أيضاً للاعتراف بالحكمة والنور اللذان تكرّسهما الكتب الأخرى: "إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور." (سورة البقرة 44)

"وقفينا على إثرهم بعيسى ابن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة وأتينا الإنجيل فيه هدى ونور ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتّقين." (سورة البقرة 46:5)

إضافة إلى ذلك، يسأل القرآن المسلمين أن يطلبوا من أهل الكتاب ان يرشدوهم عندما لا يسعهم فهم مقاطع قرآنيّة، بما أنّ هناك العديد من أوجه الشبه بين القرآن والكتاب المقدّس.

"إفان كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين." (سورة يونس 10:94)

أخيراً، لا يطلب القرآن الاعتراف بدور العبادة الخاصّة بالأديان الأخرى واحترامها فقط، بل يعتبر دور العبادة كلّها أمكنة يمكن للمسلمين أن يصلّوا فيها بخشوع وصدق لذلك لا بدّ لكلّ الناس أن يحترموا دور العبادة كلّها لأنّ يمكنهم أيضاً تأدية الصلاة فيها:

"قل أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون." (سورة الأعراف 7:29) "ويا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد وكلوا واشربوا ولا تشرّفوا إنّه لا يحبّ المسرفين." (سورة الأعراف 7:31)

عندما أصلي، أبنى علاقة مع الله. وكلما استيقظت شكرته على نهاري وسألته أن يعطيني الشجاعة للقيام بكل ما يترتب علي من أمور. عندما أكون محاطاً بأهل بيتي، أشعر وكأني في حضرة الله. لا يمكنني أن أراه، ولكني أراه من خلال هؤلاء الأشخاص. طرحنا على قشوم السؤال التالي على سبيل المثال: "لم تفضّل البقاء في لارش؟ ولم تحبّ الله؟" أجابت: "أحب لارش لأنّ الله يؤمّن لي الطعام لأسدّ رمقي."

أحرص على عدم مناقشة مسائل دينية والمعاونين المسيحيين. وأشعر بالسعادة عندما يستيقظ معاونون المسيحيون في الصباح الباكر وإيانا خلال شهر رمضان وعندما يتركوني أرتاح كلما كنت بحاجة لذلك. قبل لارش، كنت أظنّ أنه من العار أن نكون مسيحيين. ولكن سرعان ما تغيّرت وجهة نظري. عندما أسمع نصوصاً من الانجيل، أقول في قرارة نفسي أنّها ملهمة. أعتقد أنه من المهمّ أن نعلّم الاسلام للأعضاء الأساسيين المسلمين. أمّا أنا، فأبقى دائماً حريصةً على ما أقول لأنّ معاونين المسيحيين هم دائماً على السمع ولا أريد أن أعطيهم عن نفسي انطباعاً خاطئاً. اليوم، بتّ أعرف أنّ بوسعي مشاركة السعادة النابعة من الاحتفالات الدينية ذات الصلة بالأديان الأخرى. تانيا، معاونة في لارش بوشيو ميمسنغ، بنغلادش، في لقاء في كيرالا عام 2014.

أشكر الله أنّني في لارش. في الأوقات العصيبة، أسأل الله أن يدلّني على الطريق القويم. ويفضل عمل المجموعة التي سلفت لارش سيّما جان فانييه، أدركت أنّ الهدف الأساسي لم يكن حملنا على اعتناق الدين المسيحي، بل حتّى إلى التصرف بإنسانية. في ظلّ غياب منزل لارش، ليس لدينا الكثير من الوقت لتأدية الصلاة أو القيام بالممارسات الدينيّة. فما من شيء مسيحي أو مسلم محض: نحن ببساطة نعيش سوياً، في جوّ يسوده الاحترام المتبادل. يدفعني كلّ من هو من دين آخر، من خلال أسئلته إلى إعادة النظر بديني. وهناك من يعتقد أنّه يمتلك الحقيقة وأنّ ما يعرفه خير ممّا يعرفه غيره. أمّا ذوي الاحتياجات الخاصّة، فهم يعطون من كلّ قلبهم، كلّ ما لديهم وها قد أصبحنا نصاب بعدواهم. نحن نعيش روح الصلاة من خلال بناء علاقات مع الآخر. أميرة، معاونة في منظمة معاً للحياة لارش بيت لحم فلسطين، في لقاء في كيرالا عام 2014

بالنسبة لي، يكتسي الدين أهميّة بالغة. أنا مسلم. أنا أصلي وأصوم وأقرأ القرآن الكريم. أنا أيضاً أساعد الآخرين. قبل أن أنضمّ إلى لارش، لم أكن أعرف شيئاً عن سائر الأديان. كنت على دراية بالإسلام فقط. أمّا الآن بتّ أعرف الكثير عن المسيحية والهندوس. أنا سعيدٌ جداً بهذه التجربة. فاكشفت أنّ كلّ دين يدعونا إلى اتباع الصراط المستقيم ويعلمنا كيفية التصرف بالطريقة الفضلى مع بعضنا

البعض، ذلك أنّ كلّ شخص هو بحاجة إلى إرشاد ديني. الخالق واحد. هو مصدر الحياة والقوّة. لذلك فإنّه لمن واجبنا أن نحترم دين كلّ شخص.

علي، معاون في بوشيو نير/ميمنسنغ، بنغلادش، من الكتاب الذي أعدته مجموعة بوشيو نير في لارش بنغلادش.

الإسلام والمسؤولية الاجتماعية

عمر عبد العاطي صالح

"المسؤولية الاجتماعية" هي إطار أخلاقي يعمل بموجبه أيّ كيان، سواء كان فرد أو جماعة، على خدمة المجتمع بمعناه الواسع. يمكن أن تكون هذه المسؤولية غير فاعلة، حيث أنّ الشخص يمتنع عن القيام بأيّ فعل مؤدٍ أو فعالية تتجلى بالأنشطة الساعية إلى تحقيق الأهداف الاجتماعية. إنّ التزم على الجميع الوفاء به للمساهمة في حلّ القضايا الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية.²³ وعلينا أن نشعر في تذكر بعض الحقائق المتعلقة بالإسلام بغية استيعاب العلاقة الحاصلة ما بين هذا المصطلح والاسلام، من منظور المسلمين.

الاسلام هو نزول القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحلقة الأخيرة من سلسلة أنبياء سلفوه كآدم ونوح وإبراهيم وداوود وموسى والمسيح. إنّ الاسلام في بادئ الأمر رحلة شخصية لله تعالى، الاله الواحد، الله. ولكن يبقى من المهم التركيز على أنّ الاسلام ليس من الأديان الفردية، أي تلك التي تركز فقط على العلاقة الحاصلة ما بين الله والانسان، لأنّها تركز أيضاً على العلاقة بين الناس. لذلك، يشتمل أيّ كتاب كلاسيكي عن الفقه على جزئين أساسيين: العبادة أي العلاقة بالله والمعاملة أي العلاقة بالآخرين.

إضافة إلى ذلك، وعلى الرغم من المسؤولية الفردية التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من إيمان الفرد والصالحات في الإسلام، يتوجّه القرآن إلى أمة المسلمين، بصيغة الجمع، عندما يتطرق إلى هذه الواجبات الفردية: "يا أيها الذين آمنوا، داوموا على الإيمان بالله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين". كما نلاحظ أنّه يخاطبهم أيضاً بصيغة الجمع عندما يحرم الزنا: "يا أيها الذين آمنوا ولا تقربوا الزنا". حتى عندما ذكر الأحكام الاقتصادية كتحريم الربا، توجّه القرآن الكريم إلى المسلمين برمتهم بدل من التوجّه إلى الفرد.

تظهر هذه الأمثلة أنّ الاسلام ليس مجرد رحلة فردية إلى الله تعالى، بل أنّها رحلة القافلة. بالفعل، على القافلة والفرد التوجّه نحو المقصد عينه والقيام بالرحلة عينها. إضافة إلى ذلك، على المسافرين توفير الدعم والحماية لبعضهم البعض عندما تدعو الحاجة. وتأتي الآية القرآنية التالية لبلورة هذه الصورة (التوبة 9:71) "المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: ويقومون الصلوات ويؤتون الزكوات ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم."

وبالتالي نفهم لما تمّ النهي عن حياة الرهينة في الاسلام، حتّى ولو كان كلّ فرد مسؤول عن تبرير الأعمال الخيرة التي قام بها الله بنفسه "وكلّهم يأتيه يوم القيامة فرداً".²⁴

وستتمّ مساءلته -شخصياً- في ما يتعلّق بنواحي حياته كلّها- كما ورد في الحديث النبوي الشريف للترمذي: قال أبو برزأ: قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه".²⁵

²³معاني المسؤولية الاجتماعية:

http://inni.pacinst.org/inni/corporate_social_responsibility/standards_definitions.pdf, p.1.
²⁴القرآن 19:95

ثمة حديث آخر يشدّد على الفكرة عينها. قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن في تَوَادُّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهرِ والحُمى"²⁶.

تصوّر هذه الاستعارة الرابط الوثيق الموجود بين الفرد والجماعة في الاسلام، في إرث الاسلام، وهو ما بات اليوم يعرف بالمسؤولية الاجتماعية.

إنّ مفهوم المسؤولية الاجتماعية - في الاسلام - يأتي بدرجات مختلفة، يبدأ بمسؤولية الشخص تجاه نفسه، تجاه عائلته، تجاه الجماعة التي يعيش فيها، والمجتمع برمّته، والمجموعات التي تملأ الأرض. لا تقتصر هذه المسؤولية على البشر فقط، بل هي مسؤولية الطيور والحيوانات والنباتات وحتى الحشرات لأنّها كلّها مجموعات يأتي الإسلام على ذكرها. فيقول القرآن على سبيل المثال: "وما من دابة في الأرض ولا طير يطير بجناحيه إلا أمّ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون. (سورة الأنعام 6:38)"²⁷ ولكن كما سبق وحددنا، الفرد المسلم هو من يقع في صلب المسؤولية الاجتماعية. ولا يمكن للفرد أن يقدم أي خدمة للآخرين إذا ما أهمل نفسه. ولا يمكن للمرء أن يتخيّل فريق كرة قدم أو كرة طائرة أو أي فريق رياضي جيّد ومتماسك من دون أن يضمّ هذا الفريق أفراداً جيّدين. بالتالي إنّ الخطوة الأولى ليست إلا أن نكون أختيار ليتسنّى لنا أن ننقل هذا الخير إلى الآخرين. فلقد قال الله في القرآن الكريم: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاهما وقد خاب من دساها."²⁸

تكتسي هذه الآية أهمية بالغة حيث تعبّر عن نظرة الإسلام للإنسان. إنّه وعد قطعته الله على نفسه بخلقه لتلك النفس، وبتكليفها وتنظيمها لتتناسب والمهمة التي يسعى إليها الاسلام، ألا وهي أن نعمل بضمير ونختار الصراط المستقيم. فتحّى عندما يعطينا البعض أجوبة (فتاوى)، علينا أن نعيد النظر في الموضوع بالقلب وبالضمير: قيل عن وابصة بن معبد رضي الله عنه: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم. فقال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك."²⁹ كما يعلمنا القرآن أن نبتغي في ما أتانا الله الدار الآخرة وألا ننس نصيبنا من الدنيا وأن نحسن كما أحسن الله إلينا وألا نبغ الفساد في الأرض، إنّ الله لا يحبّ المفسدين.³⁰

وإذ يطلب منا الله أن "نعمل الخير كما عمل الله معنا" ننقل إلى المرحلة الثانية من المسؤولية الاجتماعية التي تتضوي على العائلة والجيران والزملاء والأصدقاء والمواطنين والبشر والمخلوقات الأخرى الآتفة الذكر. يطلب منا القرآن أن نكون أولياء على أنفسنا وعلى أهلنا من الشيطان ومن نار الجحيم: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة."³¹

لقد اوضح النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين أنّ كلّنا راعٍ أو وِالٍ مسؤول عن رعيّته/جماعته: فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيّته والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيّتها. فكلكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته.³²

لقد ورد هذا الحديث في كتب السنة الست الأساسية، وهي تعلمنا أنّ كلّنا رعاة وأنّه علينا الاعتناء بمن وضع تحت حمايتنا. وبما أنّ المسلمين يعتقدون أنّ الانسان هو الخليفة أو الراعي أو ممثّل الله على الأرض،³³ وأنّ عليه الاعتناء بكلّ ما يحيط به، بتنا رعاة

²⁵جامع الترمذي. فصول حول اليوم الآخر، الرقاق، الورع.

²⁶ صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب

²⁷قرآن 6:38

²⁸قرآن 10-91:7

²⁹مسند أحمد والدارمي: في رياض الصالحين.

³⁰القرآن 28:77

³¹القرآن 66:6

³²صحيح بخاري ومسلم .

الكون برمته والخلاتق كلها كما ورد في الحديث التالي: قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَيْئراً، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ التُّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبَيْئَرُ، فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ، حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ"³⁴، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبُهَائِمِ لَأَجْراً؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ"³⁵ لا يسلم النبي الضوء على مسؤولية المسلمين تجاه كل كائن حي وحسب، بل يعبر أيضاً عن رضى الله عن الذين يتحملون هكذا مسؤولية.

بالفعل، لا يمكننا حصر هذه المسؤولية بجماعة واحدة. فتتعدد تعاليم الإسلام ذات الصلة إلى ما لا نهاية وأقل ما يمكننا قوله هو أن في الإسلام الاعتناء بالأشخاص الأجلاء في المجتمع - المسافرين الأكثر هشاشة في القافلة- يوازي من حيث أهميته -بنظر الله- أعمال العبادة. قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل والصائم النهار."³⁶

ليس هذا الحديث استثناءً، ذلك أن في مناسبة أخرى، قال النبي محمد أن خير بيت في المسلمين ليس البيت الذي يملأه الأئمة أو الصلوات أو القراءات القرآنية. قيل عن أبي هريرة: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه." ثم قال بأصبعيه: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعيه."³⁷ لا يمكنني الإشارة إلى أي مناسبة أخرى وعد فيها النبي بعلاقة وطيدة إلى هذا الحد معه (صلى الله عليه وسلم) ...

أخيراً، يمكننا أن نقرأ حواراً دار بين الله وأي إنسان -ابن آدم- يوم الحساب.³⁸ يشدد هذا الحوار على مكافئة الله للذين يتحملون المسؤولية تجاه الآخرين: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: "يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. فقال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبي فلاناً فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم؟ استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب، كيف استسقيتك وأنت رب العالمين؟ قال استسقاك عبي فلان فلم تسق؟ أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي."³⁹

حاولت في المقاطع السابقة أن أشرح معنى مصطلح "المسؤولية الاجتماعية" من منظور الإسلام. فكيف يقوم الإسلام، بشرح المسؤولية الفردية التي يتحملها كل فرد نتيجة لأعماله ويشدد عليها من جهة، وبالتشديد على مسؤولية الفرد الاجتماعية تجاه الجماعة والمجتمع والمجتمعات البشرية كافة وحتى المجتمعات غير البشرية من جهة أخرى؟ ليس هذا الوجه من أوجه المسؤولية أكثر أشكال العبادة سمواً وحسب، بل أيضاً درأاً يودّي حتماً إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما يتوق إليه قلب كل مسلم.

³³القرآن 2:30 على سبيل المثال
³⁴ورد في حديث آخر أن بينما يغي نبت بغايا بني إسرائيل تمشي، فمرت على بئر ماء فشربت، وبينما هي كذلك مر بها كلب يلهث ويأكل الترى من العطش فعدت إلى بئر الماء، فملأت موقها، أي خفها ماء، فسقت الكلب فغفر الله لها."
³⁵صحيح بخاري ومسلم
³⁶صحيح بخاري ومسلم
³⁷الإمام البخاري: الأدب المفرد (137)
³⁸يمكننا بالطبع أن نجد روايات مشابهة في إنزالات أخرى سلفت القرآن. الرجوع إلى إنجيل متى 42:25-43، على سبيل المثال.
³⁹صحيح مسلم.

في شبابي، كنت أريد أن أكون تلميذاً مجتهداً وأحلم بأن يصير لي يوماً ما شركتي الخاصة. لكن لم يكن لعائلتي من المال ما يكفي لأتابع دراستي. وبما أنّ والدي كان عاجزاً عن الاعتناء بي، عقدت العزيمة على الاعتناء بنفسني. تركت عائلتي في الخامسة والعشرة من عمري متوجّهاً إلى دقّة. وتعدّدت الأعمال التي قمت بها: من جلي الأطباق إلى البناء إلى الرسم... وأخذت معي أشخاصاً كنت قد أويتهم وأطعمتهم ليعملوا معي. ولكن عند أول حادثة، اكتشفت أنّ كلّ ما قمت به ذهب سدى، لأنّي عندما استيقظت في المستشفى، لم يكن هناك أحد إلى جانبي. وهذا كان درسي الأول.

كنت استعطي قرب المزار، حتّى أتت ذات يوم امرأة وسألنتني عن هدفي في الحياة. أجبت: "أن أكمل دراستي" لكن لم يكن لدي المتسع من الوقت للقيام بذلك.

كان دار الأيتام يضمّ الكثيرين من ذوي الاحتياجات الخاصة- ومعظمهم موجودين في المجموعة اليوم. كانت تلك تجربتي الأولى مع ذوي الاحتياجات الخاصة. كنت أقتاضي مبلغ خمسة يورو في الشهر الواحد. وبعدها أصبحت معاون في هذا الدار. بعدها انتقلت المجموعة إلى ميمسنغ سيما بعدما انتشرت الفوائح حول دار الأيتام، وكنت من بين معاونين الذين قبلوا أن ينتقلوا إلى ميمسنغ. عشنا ظروفًا صعبة، لم تكن نقاضي أي راتب، ولم يكن هناك من الطعام ما يكفي للجميع. تركت ميمسنغ متجّهاً إلى دقّة، لأعود إلى ميمسنغ بعد فترة وجيزة.

تعرفت إلى مجموعة لارش من خلال شقيقاً لطايزة (غيوم) وهو الذي كان قد سأل شخصاً في دقّة أن يأتي بذوي الاحتياجات الخاصة. وهكذا تعرّفت إلى لارش. وسرعان ما اكتشفت أنّ والدي كانا يظنّان بأنّي قد متّ، وأدركت حينها كم يحبّاني.

إنه لمن دواعي سروري أن أكون هنا. أريد ان أساعد المجموعة لأشعر بسعادة كبرى. أساعد معاونين الجدد عندما يأتون، وشهدت على انضمام العديد منهم ومغادرتهم المجموعة. في لارش، تعلّمت الكثير عن عمليّة التعليم، عن الروحانية...

-لقد عملت مع ذوي الاحتياجات الخاصة في ظلّ ظروف صعبة. من أين لك القوة للقيام بذلك، وللمثابرة على العمل؟

لا يمكنني إن أتركهم. بكلّ بساطة. لقد شعرت معهم بقدر من الحب لم أشعر به حتّى في كنف عائلتي! اليوم بتّ أزور عائلتي من جديد، ولكن مكاني هنا، بين أعضاء المجموعة. كسلمى على سبيل المثال (إحدى الأعضاء الأساسيين). أو من أنّ الله قد حملنا مسؤولية هؤلاء الأشخاص. وكأنّها مهمّة طلب إليّ تنفيذها.

ودود، معاون في لارش ميمسنغ، في لقاء في بنغلادش عام 2011.

القيادة في الاسلام:

التزام بتعليم الآخر وخدمته

عمرو عبد العاطي صالح

في ظل غياب نماذج معاصرة للقيادة في الاسلام، بات المسلمون تائهين ما بين قيم الاسلام والنظريات والمثل العليا الغربية وعدم القدرة على إعادة قيم الإسلام إلى مكانتها الأساسية. فالقيادة في الإسلام ليست بمفهوم أحادي الجانب حيث أن الشعب يثق بالقائد ثقة عمياء، بل هي عملية يرشد القائد فيها شعباً يتبعه بملء إرادته. وهذه الإرادة هي نفسها التي تحرك قلب المسلمين في ممارسات العبادة الجماعية (الصلاة والحج) وعندما يؤدون واجباتهم كالزكاة والصوم. فهذه الأعمال تتدرج ضمن إطار الخضوع لمشيئة الله الواحد، الذي كان رسوله الأخير النبي محمد صلى الله عليه وسلم القائد الأفضل في الأمة ولكن أيضاً المؤمن الأوفى لله. وبات المسلمون في أقطار العالم كافة يسعون إلى محاكاة طباعه وتصرفاته. فلقد قال الله في القرآن الكريم: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (سورة الأحزاب 21:33)

فعلى كل مسلم أن يسعى جاهداً إلى الاقتضاء بالنبي محمد، (صلى الله عليه وسلم) حتى ولو كنا نعلم أنه من المستحيل أن يكون بصدقه، أو بالتزامه أو باهتمامه، أو بحكمته أو ببساطة مثله. إن النبي هو المثل الذي يحتذى به وهذا الأمر بالغ الأهمية. بالفعل، فالقيادة هي إحدى المبادئ التي يسعى المسلمون فيها إلى الاقتضاء بمثل النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فما يقوله النبي وما ينصحنا به يكتسي أهمية بالغة. ففي الحديث، قال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته. فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته." (البخاري 901)

يسلط الحديث الضوء على أهمية المسؤولية الاجتماعية على كل الأصعدة، ويشدد على جزء المسؤولية الذي يقع على عاتق كل منا بحسب موقعنا في المجتمع: "ليست الحلقة الأضعف إلا قائد القافلة" (أحمد 16528) ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتبر أن الأضعف هو الذي يحدد وتيرة السير، ليتمكن الجميع من الوصول سالماً آمناً. ففي هذا الصدد، لا يمكننا القول عن القائد إنه مجرد قائد، لأنه في الوقت عينه حارس، لا بل راع لرعيته، بحسب عبارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، "سيد القوم خادمهم" (عن الخطيب في تاريخه 187/10).

في عالم اليوم، هذا يعني أن لا بد أن يكون كل راع قائد ولكن أيضاً خادم ملتزم يخدم قافلته ويسهر عليها، حريصاً على عدم إهمال أحد!

لا بد من تطبيق هذه القاعدة على كافة المستويات وعلى القيادة بمختلف أشكالها: وعلى الحكومات ألا تلتزم بالاضطلاع بدور القيادة وحسب، بل بخدمة الشعوب وبالتركيز على الأقليات، وعلى الضعفاء وعلى الأقل حظوة.

بالموازاة، على المدرّسين أن يتحمّلوا مسؤولياتهم وأن يلتزموا بهذه القيادات التربويّة، كما عليهم أن يكونوا بخدمة التلاميذ الأقلّ حظوةً ويولّوهم أهميّة خاصّة وأن يحترموا ويلبّوا حاجات التلاميذ الخاصّة سيّما أولئك الذين ينتمون إلى الأقليّات الإثنيّة والدينيّة من أجل تحسين الأداء المدرسي.

فالآباء الذين يتبعون التعاليم الواردة أعلاه يقومون بتربية أولادهم على أسس سليمة بكامل المسؤوليّة والالتزام، ويرعون رعيّتهم على أكمل وجه، حريصين على أن ينعم أولادهم بتربية ملؤها الرعاية والصبر والمحبة، ليعيشوا حياةً جميلة وكريمة. بالفعل، سيدركون أنّ الأولاد الذين يعانون من إعاقة جسديّة أو عقليّة يحتاجون إلى قدر أكبر من الصبر والمحبة والاهتمام من سائر الناس.

عندما ننظر إلى الأشخاص الأكثر ضعفاً في المجتمع، يمكننا أن نحدّد إذا ما كان هناك قيادة حقّة، وإذا كان الذين في السلطة يتحمّلون مسؤوليتهم في خدمة الشعب، أو إذا كانوا يستغلّون مناصبهم لتحقيق مآرب شخصيّة. في هذا المضمار، حتّى النبي محمّد صلى الله عليه وسلّم المسلمين على تعيين قائد، حتّى ولو كان الموضوع يتعلّق بمجرد ثلاث أشخاص يذهبون في سفر: "إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا عليكم أحدكم" (مسند البزار 329، مسند الصنعني 6960). فعندما يجتمع المسلمون في صلاة، يعيّنون شخصاً لإمامة الصلاة.

للإمام المسلم مسؤوليات عديدة، كما ورد في الحديث النبويّ الشريف، فدور القائد ليس إلّا حماية شعبه من الطغيان والقمع، وتعزيز الوعي إلى الله والتقوى وإرساء العدل.⁴⁰

يجب ألاّ يتمّ الاستخفاف بهذه المسؤوليّة. بالفعل، لقد حدّزنا النبي محمّد من أن نسأل السلطة: لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإذا خلقت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير. (البخاري 6704)

لا يمكننا أن نستثني سوى الحالات التي يواجه فيها الإنسان الأزمات أو الكوارث، وهو يتمتّع بالخبرة الكافية لمجابهتها. ففي هذه الحال فقط يمكنه أن يقترح القيام بمهمة ما، على غرار النبي يوسف عندما طلب:

فالعامل في مجال الشؤون العامّة يضع الإنسان أمام تضارب مصالح وضغوطات جمّة. وليتمكّن الوزراء المعيّنين من القيام بعملهم بنزاهة ومن خدمة مصالح شعبهم، لا بدّ من تحريرهم من كافّة أشكال الإغراء المالي. فقد أمر الله أن يحصل جابو الصدقة على راتبهم من مال الصدقة:

قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (سورة يوسف 55)

"إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب الغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (سورة التوبة: 60)

في المضمار عينه، عمل عمر بن الخطاب على دفع رواتب مرتفعة للمسؤولين الحكوميين لتلاّ يقبلوا الرشوة. بالتالي يبدو أنّ لقائد الجماعة مسؤوليات عديدة وأتّه سيخضع للمساءلة لكلّ مل يقوم به. بيد أنّ الإسلام يعترف بقوة القائد وكما يتعيّن على كل قائد مسلم أن يتبع مثل النبي محمّد، على أتباعه أن يقوموا بالمثل، أن يطيعوا القائد والمجموعة ويخدمونها بكافّة الطرق، حتّى ولو لم يكن يحقّ للقائد أن يستغلّ سلطته ليدفع بشعبه إلى طريق الشرّ. فقال عمر بن الخطاب لشعبه:

⁴⁰ Leadership: an Islamic perspective, 1999 للمزيد من التفاصيل، اقرأ الفصل الثاني من بدوي وبيقون

" فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد انتمنه سيده واستحفظ ماله وعياله فبدد المال وشرذ العيال فأفقر أهله وفرق ماله." (ابن عبد البار، العقد الفريد: 490/1)

بالفعل، كان عمر بن الخطاب يتمتع بحسّ العدالة وكان يهتم بالفقراء إلى حدّ دفعه إلى الأمر بتدمير مسجد عمر ابن العاص لأنّه شيده مكان منزل امرأة عجوز، وأنها لم توافق على بناء المسجد مكان سكنها. (ابن عبد الحكم، فتوح مصر: 290)

في مقلب آخر، وقع صبيّ قبطي وأبوه ضحية ضرب مبرح على يد ابن قائد مسلم، فاشتكى لدى الخليفة، عمر بن الخطاب، الذي حكم بالعدل وأمرهما بضرب من ضربهم، واذلاله، أي أن يعامله بالمثل (ابن عبد الحكم، فتوح مصر 290)

بصورة عامّة، على القائد أن يكون شخص يتمتع بخبرة واسعة في ميدان عمله، فمن يقوم بإمامة الصلاة عليه أن يتمتع بمعرفة دقيقة وعميقة بالإسلام أكثر من الذين يصلون معه. إضافة إلى ذلك، من الممكن أن يجلس هذا الشخص عينه الذي يقود الصلاة اليوم في صفوف المصلين، إذا ما أتى أحد يفوقه دقّة وعمقاً بعلمه للدين. هذا ما يظهر أنّ ما من رجال دين في الإسلام، بل علماء يساعدون بعضهم البعض في الفقه.

بينما نتوقّع أن يتبع الأتباع القائد، ليس عليهم إلا أن يطيعوه طالما تتماشى أوامره وشريعة الله. فعلى كلّ قائد مسلم أن يكون خادماً لله وأن يعمل بما يتماشى وشريعته تعالى، بالاستناد إلى مثال النبي محمد (صلعم). عليه ألا يأل جهداً في سبيل بناء شخصية إسلامية أخلاقية قوية، وأن يعزز إيمانه بالله بينما يجتاز المراحل الأربع للنمو الروحي: الإسلام، الإيمان، التقوى والإحسان.

بات جلياً أنّ من أجل الخضوع لشريعته تعالى، على القائد ألا يكتفي بتطبيق الشريعة، بل أن يعمل كما قال الله في القرآن الكريم:

"ليس البرّ أو تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوات وأتى الزكوات والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون.

على القادة المسلمين أن يطبقوا أوجه الحكم هذه كافةً وأن يحكموا بالعدل، حتّى ولو كان هذا يتعارض ومصالح الأغنياء أو مصالح العائلة. فقد قال النبي محمد صلعم لأحد أفراد صحابته الذي حاول أن يجد تبرير لامرأة ثرية قبض عليها في الجرم المشهود وهي تسرق: "لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" (البخاري: 3514).

كما ورد في القرآن:

"يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فإنّ الله أولى بهما فلا تتبّعوا الهوى أو تعدلوا وإن تلو أو تعرضوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً. (سورة النساء 4:135)

على القادة والأتباع أن يعملوا على تحسين أنفسهم، اقتضاءً بالنبي صلعم وألا ينسوا يوماً من خلقهم والهدف من خلقهم. يقول الله في القرآن: "يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقائه ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون (ال عمران 3:102)

يصعب كثيراً استنباط مصطلح، أو حتّى جملة لترجمة مصطلح "التقوى". في الأدب الإسلامي، يتمّ تحديد الكلمة بواسطة

العديد من الصفات التي يتمييز بها أصحابها. يمكن أن نقرأ بعض منها في القرآن الكريم:

"الذين ينقفون في السراء والضراء والكاظمين عن الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون. (سورة آل عمران 134-135)

إنّ التقوى حالة ذهنيّة، وروحيّة، وسلوكيّة يسعى جميع أعضاء المجموعة إلى بلوغها. ولكن يندرج ذلك ضمن عمليّة طويلة الأمد تهدف إلى تحسين الذات فتتطلب عمل شاقّ من كلّ عضو من أعضاء المجموعة، كما من المجموعة بأسرها. في التقليد الإسلامي، يطلق على هذا التقدّم وهذه الرحلة اسم "جهاد النفس"، أي صراع ضدّ الأنا، وهي أسمى مستويات الجهاد التي تجسّد عمليّة الصراع الداخلي من أجل تحسين الذات.

فيراقب القادة والأتباع الذين يحاولون اعتماد هذه الممارسة ويقيّمون نواياهم وأفعالهم، ويعملون على الارتقاء بأنفسهم أيضاً. كما يعملون على موائمة أفعالهم وأقوالهم، ويشجعون الآخرين على خوض هذا الصراع لتحسين أنفسهم. فعلى قائد المجموعة أن يضطلع بدور الميسّر لهذا الصراع والمرشد للمسافرين في قافلته.

باختصار، على القائد أن يعدل بغض الطرف عن مصالحه الشخصية، أن يتحلّى بالإيمان، أن يرعى كلّ من هو في الحاجة، لحبّ الله، عليه أن يثبت في الصلاة وأن يقوم بأعمال خيرية. عليه أن يحترم العقود كافّة وأن يصبر. إضافةً إلى ذلك، يركّز النموذج الإسلامي للقيادة على الخلق، أو التصرف بطريقة أخلاقيّة مع أعضاء المجموعة كلّهم، المسلمين منهم وغير المسلمين.

هل هذا هو منهاج حياة كلّ معاون/ عضو أساسي في المجموعة على أساس يومي؟ عندما انضمت إلى المجموعة، حاولت أن أثق بالجميع.

بعد مرور شهر، تمّ تعييني مسؤولاً عن أحد الأعضاء الأساسيين، الذي كان في حال يرثى لها. وعندما أمضيت الكثير من الوقت برفقه، اكتشفت إلى أيّ حدّ كان يعتمد على الآخرين. نقل إلى المستشفى حيث تلقى العلاج المناسب قبل أن يعود إلى المجموعة. وكم شعرت بسلام داخلي عندما عاد بحال جيّدة!

. مرّت مجموعتنا بظروف صعبة بعد مغادرة قائد المجموعة. ولما كنّا تمكّنا من المثابرة والتركيز لولا جهود الأعضاء الأساسيين. ناديا، معاونة في لارش فرنسا، في لقاء في لبنان عام 2015.

يعتمد الأعضاء الأساسيون على معاونين، وهم بحاجة ماسّة إلى دعمهم. عندما يكون معاونون بخير، يكون الأعضاء الأساسيون بخير أيضاً.

اسرافيل، معاون في لارش ميمسنغ في لقاء في تروسلو عام 2012.

مرّت مجموعتنا بظروف صعبة بعد مغادرة قائد المجموعة. ولمّا كنّا تمكّنًا من المثابرة والتركيز لولا جهود الأعضاء الأساسيين.
ناديا، معاونة في لارش فرنسا، في لقاء في لبنان عام 2015.

الكلمة الختامية

جان فانييه

إن أردت أن أروي قصتي قبل لارش ومنذ تأسيسها، لمألت صفحات وصفحات... كنت أخدم في البحرية البريطانية لمدة ثمانية أعوام. تركت البحرية لأتقرب من الله وأكتشف إنجيل يسوع. كنت على وشك الانضمام إلى مجموعة مسيحية في منطقة هارليم، نيو يورك، لأكرس وقتي للأميركيين الأفارقة الذين كانوا يعانون من الفقر المدقع. وانتهى بي الأمر في فرنسا، حيث درست الفلسفة واللاهوت. لطالما شعرت أنه لا بد من أن أكرس نفسي للفقراء لحب الله، وشعرت أن العيش بين الفقراء ومعهم والقيام بالأعمال الخيرية أمور ضرورية سيما عندما يقوم بها المرء بدعوة وتفويض منه تعالى، هو إله الرحمة والرأفة. أول مرحلة من هذه الحياة كانت مع الفقراء في فرنسا عام 1964. لقد استقبلت شخصين يعانون من إعاقة عقلية، كانوا في السابق في مؤسسة تضم ثمانين شخصاً تخلت عنهم عائلاتهم، حيث عانوا من معاملة قاسية وعنيفة. خفت كثيراً من هذه المؤسسة، سيما عندما حاولت التماس الأمل الذي يشعر به هؤلاء الرجال الذين يعانون من إعاقة عقلية ولكنني كنت أعلم أنه لا يمكنني أن أعيش هناك. لكنني تمكنت من إيواء شخصين من المؤسسة، رافاييل وفيليب، في منزل صغير اشتريته بفضل بعض من أصدقائي. كان رافاييل يعاني من التهاب السحايا في طفولته، لذلك خسر القدرة على النطق ويات جسمه هزياً ضعيفاً، بينما كان فيليب يعاني من شلل في ذراعه وقدمه نتيجة لالتهاب دماغه. كان كثير الكلام على الرغم من شلله العقلي. كنا سعداء سوياً: هذا هو الفرح العظيم الذي بشر به المسيح: «إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا اخوتك ولا انسباءك ولا جيرانك الأغنياء بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين: الجذع العرج العمي فيكون لك الطوبى" (لوقا 14). وهكذا نمت مجموعتنا الصغيرة: حول المائدة، خلال عملنا في الحديقة وفي أوقات الصلاة. وكان رافاييل وفيليب يشعران بفرح عظيم لأنهما وجدا هذه العائلة الجديدة (كان والديهما متوفيين)، كما كانا سعيدين أنهما غادرا تلك المؤسسة حيث يعانون الملل القاتل. ولقد جذبت هذه المجموعة الصغيرة، التي أطلقت عليها اسم لارش، العديد من الأشخاص. كما تلقينا زيارة ثنائي ينتمي إلى الكنيسة البروتستانت، وخرجوا سعداء بعد هذه التجربة. وفور عودتهم إلى كندا، أنشأوا مجموعة أنغليكانية ضمت ذوي الاحتجاجات الخاصة. وهكذا اكتست لارش بعداً مسكونياً. ولدت المجموعة الثالثة في فرنسا مع نظرة كاثوليكية: الرابعة بنظرتها الجامعة للأديان أسست في الهند بناءً على طلب أحد رسل مهتما غاندي كان ملتزماً بمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة. فلقد أعطانا هذا الرسول رقعة أرض رائعة في بنغلور. وهكذا اكتست لارش بعداً جامعاً للأديان. ومعظم الشباب الذين انضموا إلى لارش كانوا هندوس. وكان مجلس الإدارة يتألف من مسيحيين وهندوس ومسلمين. وهكذا اكتشفنا أن الاعترافات الدينية والخلفية الثقافية والقدرات وحتى الإعاقة لا تسقط كلها أمام الرفض والذل الذين تعرض لهما الرجال والنساء، هم حاملو ذلك القلب النقي والتواقون إلى إثبات أنفسهم والى الصداقة الحقة.

وغالبا ما كان هناك أفراد عانوا من الاقصاء الاجتماعي ونظرت إليهم عائلاتهم نظرة خزي وعار. ومع ذلك اكتشفنا قيمة قلوبهم النقية وانفتاحهم لله. وأدركنا أن في كل دين هناك درب تؤدي إلى الله والسعادة كما هناك نافذة تؤدي إلى وحدة العائلة البشرية حول العالم، أنه علينا الابتعاد عن التنافسية والتنافس والعمل معاً على مساعدة ضحايا الفقر والمعاناة، ذلك أن كل إنسان يكتسي أهمية خاصة، هو الذي خلقه الله تعالى. على كل منا أن يثبت بالإيمان، وأن يجد السعادة ودرب النمو الديني أيضاً ليتعلم حب الآخر. وهكذا سيتمكن كل شخص من إدراك أهميته بالنسبة لله، لأنه تعالى جعل من كل منا ابناً أو ابنة له. إن الله هو إله الرحمة والرأفة الذي يحب كل الناس، لا إله الحرب والحقد، بل إله الحب والحياة.

في لارش، أدركنا أن نسج علاقة حقيقية مع الضعفاء لا يؤثر فقط على حياتهم، بل على كل من يتعامل معهم أيضاً.

آمل أن يشكّل هذا الكتاب مصدر أساسي للأعضاء المسلمين في لارش، ولكن أيضاً لكلّ من يعتنق أديان وفلسفات أخرى، ليتسنى لهم معرفة المزيد عن إخوتهم وأخواتهم المسلمين.

لارش وأعضاء مجموعات العمل والضيوف

باتريك فونتان

رئيس لارش إنترناشيونال، منسق لدى لارش والاسلام

ايلين غلاس

نائب رئيس لارش إنترناشيونال

ميشال دورمال

مديرة قسم دعم الحياة الروحية لدى لارش إنترناشيونال

نايلة طبارة

منسقة الأبحاث المواضيعية، أستاذة في العلوم الاسلامية

ومديرة مركز المواطنة وإدارة التنوع، مؤسسة أديان، بيروت، لبنان

أوديل سكجلوغ

أمينة لارش إنترناشيونال

كريستين لانغ

أمينة لارش إنترناشيونال

عمرو عبد العاطي صالح

أستاذ في العلوم الاسلامية في جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

عامر الحافي

أستاذ في العلوم الاسلامية في جامعة آل بيت، عمان، الأردن

الأخ جان جاك بيرينيس

مدير المدرسة التوراتية في القدس

ستان دويورغ

المبعوث الدولي للارش في الشرق الأوسط

باسكا بيستكا

المبعوث الدولي للارش ميمسنگ

كاثي بارودي

المسؤول عن بعثة لارش في فلسطين

عادل زكا

المنسق المكلف تأسيس مجموعات جديدة في مصر

ناديا

معاونة في لارش لومولان دو لورو، فرنسا

أميرة

معاونة في لارش معاً للحياة فلسطين

هيثم

معاون سابق في لارش معاً للحياة فلسطين

اسرافيل

معاونة في لارش بوشبو نير، بنغلادش

تانيا

معاونة في لارش بوشبو نير، بنغلادش

ودود

معاونة في لارش بوشبو نير، بنغلادش

قشوم

عضو أساسي في لارش بوشبو نير، بنغلادش، ميمسنگ، بنغلادش

مصطفى	والد روهان، عضو أساسي في لارش بوشبو نير، بنغلادش
شاكيبا	معاون في لارش أشان يكتان ناندي بازار، الهند
أبو بكر	شقيق أحد الأعضاء الأساسيين في مجموعة أشا نيكتان، الهند
يمين	معاون سابق في لارش فرنسا
دينا	معاونة في لارش الإسكندرية، مصر
أسمى	متطوعة في الإيمان والنور، الإسكندرية، مصر
مجدولين	عضو مجموعة التواصل في الكويت
وسيم	عضو مجموعة التواصل في الكويت
تينا	عاملة اجتماعية في مركز الرعاية في ميمنسغ، بنغلادش